سر التابوت

تأليف: قمرية بوحالة (الجزائر)

كلمة المؤلفة

في عام 2018 بدأت قصتي مع القصص القصيرة، وكانت محصلة تلك القصة 13 قصة قصيرة تحمل العناوين التالية:

- ما الذي يحدث فوق السحاب؟
- لماذا ليس لديه الوقت ل...؟
- الثعلب وعرش الأسد
- الجرم المجهول
- سبب جرائم القتل الخمس
- أنا وزوجة أبي
- سر التابوت
- ما الذي يسقط من السماء؟
- ما وراء الحفر في منتصف الليل؟
- من يعذب في البيت المهجور؟
- من يؤذي صديقي؟
- عقد اللؤلؤ
- أنا والزجاجة

وقد اخترت لهذه المجموعة عنوان أحد قصصها، ألا وهو (سر التابوت)، كما ألحقت بها مجموعة من القصص القصيرة جدا، وكل ما أتمناه هو أن تعجب مجموعتي القصصية هذه كل من سيقرأها، وخاصة عائلتي الافتراضية، وكل من ساهم في تشجيعي، وتعليمي، وحاول دفعي إلى الأمام، وكذلك كل محبي هذا النوع من الأدب، ولمن يريد التواصل معي لنشر هذه المجموعة ورقيا على حسابه مع تنازل كلي عن حقوقي المادية له، أو نشرها إلكترونيا في أي موقع آخر، فهذا بريدي الإلكتروني:

f.gu.bo@outlook.com

قمرية بوحالة

ما الّذي يحدث فوق السّحاب؟

عندما أنهى عبد النّور عمله في محله الخاصّ ببيع الثّيّاب خرج منه كي يعود إلى منزله، لكنّه وبمجرّد خروجه من المحل التقى برجل واضح من هيأته المزريّة أنّه شحّاذ، حيث لم يكن يرتدي سوى سروالا، وقميصا، ومعطفا شتويّا ممزّقا، وكان ينتعل حذاء متّسخا، وباليّا، ولا يبدو عليه سوى علامات الوهن، والبرد في تلك اللّيلة الشّتويّة الماطرة، وبمجرّد خروج عبد النّور من محلّه، والتقائه بالشّحّاذ بادره الشّحّاذ قائلا:

- يا بنيّ، أنا أحسّ ببرد شديد في هذه اللّيلة الماطرة، فهلّا تصدّقت عليّ بمعطف شتويّ من بين هذه المعاطف الموجودة في محلّك، وأجرك على الله.

فنظر عبد النّور إليه من أعلى رأسه إلى أخمص قدميه ثمّ قال له بشفقة:

- أنت لا تحتاج لمعطف فقط، بل تحتاج لكلّ شيء لذلك تعال معي.

فقال الشّحّاذ باستغراب:

- إلى أين يا بنيّ؟!

فأمسكه عبد النّور من يده، وسار به نحو سيّارته وهو يقول:

- تعال فقط ولا تسأل.

وعندما ركبا في السّيّارة انطلق بها عبد النّور نحو منزله، وهناك منح للشّحّاذ سروالا، وقميصا، وكنزة، ومعطفا، وجوربا، وحذاء، وطلب منه الاستحمام وارتداء ما أعطاه إيّاه، وعندما فعل الشّحّاذ ذلك دعاه ليتناولا العشاء معا، فلبّى الشّحاذ دعوته، وتناول العشاء معه والابتسامة لا تفارق وجهه، وعندما أنهى طعامه قال له عبد النّور بأنّه لا يمانع في أن يقضي اللّيلة عنده في المستودع طالما لا مأوى له، وطبعا عبد النّور طلب منه قضاء اللّيلة في مستودع بيته لأنّه لا يعرفه، وخشيّ إن أبقاه في إحدى الغرف أن يفيق ليلا ويقوم بسرقته، خاصّة أنّ الكثير من الأحداث المشابهة لذلك قد حدثت مع غيره، لكن الشّحّاذ فاجأه بالقول أنّه ليس شحّاذا، وأنه ليس من دون مأوى، وأنّه يخفي حقيقة عليه ألاّ يخاف عندما يسمعها منه. فقال له عبد النّور -وهو يشكّ في أنّ الجالس أمامه لصّ محترف-:

- وماهي هذه الحقيقة التّي عليّ عدم الخوف حين أسمعها منك؟

فقال الشّحّاذ:

- أنا يا بنيّ لست إنسيّا بل أنا جنّيّ، لكن أرجوك لا تخف منّي واسمع حكايتي لأنّي لست هنا لإيذائك.

استغرب عبد النّور مما سمعه، وأحسّ ببعض الخوف رغم عدم تصديقه لكلام الشّحّاذ 100% وبقي ينظر إليه دون أن يقول شيئا فقال له الشّحّاذ:

- أنا يا بنيّ وكما قلت لك أنتمي لعالم الجنّ، وقد أصبت منذ مدّة بمرض أعياني كثيرا حيث أنّه كان طوال الوقت يشعرني بحرارة كبيرة لذلك نذرت إن شفاني الله منه أن أحوّل نفسي لسحابة تظلّ أحد الأشخاص الطّيّبين طوال فصل الصّيف كي لا يعاني ممّا عانيت أنا منه، وقد كذبت عليك وتظاهرت بأنّي شحّاذ كي أعرف معدنك، وأعرف هل أنت طيّب و تستحقّ أن أحوّل نفسي لسحابة طوال الصّيف من أجلك أم لا، ولأنك لست شخصا طيّبا فقط بل شخص شديد الطّيبة فعليك الاستعداد لملاقاتي مجدّدا عندما يحلّ علينا فصل الصّيف لكن لا تخبر أحدا بالأمر كي لا يتّهموك بالجنون، أو بالمسّ فلا تجد فتاة تقبل بك زوجا لها أم أنّك غير راغب في أن أقوم معك بما سأقوم به؟

ففكر عبد النّور قليلا ثمّ قال:

- ليس الأمر كذلك لكن ما قلته فاجأني وأحتاج لبعض الوقت كي أستوعب كلّ ما قلته لي.

فقال له الشّحّاذ بابتسامة:

- أنا أتفهّم موقفك لذلك سأغيب لمدّة أسبوع ثمّ أعود لأسمع منك ما اتّخذته من قرار.

وفعلا عاد الجني بعد أسبوع وسمع من عبد النّور موافقته على أن يظلّه طوال فصل الصّيف وهو يقول في نفسه:

- لن أخسر شيئا والصّيف سيظهر لي مدى صدقك من كذبك يا من تقول بأنّك جنّيّ.

وظلّ بعدها يترقّب حلول فصل الصّيف إلى أن حلّ ومعه حلّ الشّحّاذ في محلّ عبد النّور ليقول له بأنّه عاد ليفي بنذره، لكن عليه ألاّ يسأله عمّا يحدث فوق السّحابة الّتي سيحوّل نفسه إليها عندما يسمع أحيانا أصواتا تصدر من فوقها، لأنّه لن يخبره عن حقيقة تلك الأصوات مهما سأله عنها حتّى ينتهي الصّيف. وعليه أيضا ألاّ يسأله لماذا لن يخبره حتّى ينتهي الصّيف لأنّ الإجابة عن ذلك السّؤال، وعن أيّ سؤال آخر يتعلّق بالسّحابة لن يسمع الإجابة عنه إلى أن ينتهي الصّيف ومن دون لماذا، ثمّ خرج مع عبد النّور من المحلّ وطار إلى السّماء وحوّل نفسه لسحابة جعلت عبد النّور يتأكّد من أنه جنّيّ فعلا ولم يكذب فيما قاله خاصّة أنّ السّحابة كانت تنتقل معه من مكان لآخر طوال ذلك اليوم، ولم تدع أشعّة الشّمس تؤذيه أبدا، لكن ما بقي يحيّره هو ما قاله الجنّي عن الأصوات الّتي سيسمعها أحيانا من فوق السّحابة، وعن أنّه

لن يخبره بحقيقتها إلى أن ينتهي الصّيف لذلك بقي سؤال لماذا يدور في ذهنه إلى أن ذهب في اليوم الموالي إلى شاطئ البحر، وبعد أن تمشّى قليلا سمع فجأة صوت انفجار قويّ قادم من السّماء فرفع رأسه إلى السّماء ليرى ماذا هناك، لكنّه لم يرى شيئا عدى السّحابة الّتي تظلّه لذلك خطر له أنّ الصّوت قادم من فوقها وظلّ ينظر إليها للحظات لعلّه يعرف ما الّذي حدث فإذا به يسمع ذلك الصّوت مجدّدا ومن فوق السّحابة كما توقّع، ولأنه سمع صوتا دون أن يرى شيئا فقد واصل تحديقه في السّحابة لبعض الوقت لعلّه يرى ما الّذي يحدث فوقها، ويسبّب تلك الانفجارات، لكنّ أمله في ذلك خاب لذلك واصل سيره وهو يفكّر في الأمر، ومن حين لآخر يعاود النّظر إلى السّحابة وهو يقول في نفسه:

- لعلّ الأمر راجع لتجربة علميّة ما يقوم بها الجنّ أو أنّ شيئا ما من عالمهم غير المرئيّ اصطدم بالسّحابة وأحدث ذلك الانفجار!

وغيرها من الاحتمالات الّتي خطرت له لكنّه في نهاية الأمر لم يصل لإجابة تقنعه عن سبب ما سمعه 100%، ومع مرور الأيّام وتكرار سماعه العديد من الأصوات، فقد لاحظ أنّ الأصوات الّتي يسمعها لا يسمعها بشكل يوميّ بل يسمعها يوما ولا يسمعها يوما آخر، ممّا زاد في حيرته وجعله يتساءل عن سبب ذلك كما أنّ الأصوات الّتي كان يسمعها لم تكن نفس الأصوات دائما بل تنوّعت بين صوت انفجار، وصوت رعد، وبرق، وصوت ريّاح، وغيرها الكثير وعندما سمع يوما أصوات أناس يصرخون من شدّة الفزع كان متواجدا في الشّارع وسط النّاس لكن مع ذلك لم يبال أيّ أحد منهم بما يسمعه بل تصرّفوا جميعا وكأنّهم لا يسمعون شيئا وعندما سأل صديقه الّذي كان معه عمّا إذا كان يسمع شيئا ما أم لا، قال له بأنّه لا يسمع شيئا ونفس الكلام قاله له شخص آخر ممّا زاد في حيرته و جعله يتساءل:

- لماذا لا أحد يسمع أصوات ما يحدث فوق السّحاب غيري؟
- لماذا طلب منّي الجنّيّ عدم سؤاله عمّا يحدث فوق السّحاب إلى أن ينتهي الصّيف؟
- لماذا أسمع أصواتا يوما ولا أسمعها يوما آخر؟
- ثمّ من هؤلاء الّذين يصرخون فزعا هكذا؟ وما الأمر الّذي أرعبهم لهذه الدّرجة؟ وهل هم متواجدون فوق السّحابة رغم صغر حجمها أم أنّهم متواجدون في أماكن أخرى والجنّيّ يوهمني بأنّهم موجودون فوقه؟ وإن كان الأمر كذلك فلماذا يوهمني بذلك؟ وماهي غايته من كلّ هذا الغموض؟ ثمّ ذلك الطّفل الصّغير الّذي سمعت صوته ذات مرّة وهو يبكي، وصوت بكائه كان مصحوبا بصوت مرعب بدى لي حينها وكأنّه صوت وحش خارج من الجحيم لذلك خاف الطّفل منه وشرع في البكاء، حيث كلّما أصدر صاحب الصّوت المرعب صوتا ازداد بكاء الطّفل، ترى ماذا حدث له؟ وهل أذاه صاحب ذلك الصّوت أم لا؟ ثمّ لماذا كان ذلك الوحش معه؟

وما إن انتهى من كلامه حتّى سمع صوت رشّاش يطلق رصاصاته حينا ثمّ يتوقّف عن فعل ذلك لثواني قليلة ليواصل بعدها إطلاق الرّصاص مجدّدا، ليتساءل عبد النّور عن ذلك ويقول في نفسه بحيرة:

- ترى هل أولئك الأشخاص الّذين كانوا يصرخون فزعا هم من يطلق عليهم الرّصاص الآن أم لا؟ وإن كان الأمر صحيحا لماذا لا أسمع صرخاتهم وهم يقتلون وسمعت فقط صوت الرّشّاش؟

وغيرها من الأسئلة الّتي لم يستطع إيجاد إجابة عليها ممّا جعله يتمنّى نهاية الصّيف في أسرع وقت ممكن كي يسمع الإجابات على أسئلته من الجنّيّ، لكن ولأنّ الصّيف لم ينته بعد فقد كان عليه تحمّل المزيد من الأصوات وطرح المزيد من الأسئلة عمّا يسمعه من دون جدوى. ومرّة وهو مستلق على الشاطئ ومغمض العينين ومستمتعا بظلّ السّحابة الّتي تظلّه سمع صوت أمواج عاتيّة مصحوب بصوت عال يقول:

- يا إلهي إنّه تسونامي!

فنهض فزعا، ونظر مباشرة إلى البحر المقابل له لكنّه لم ير سوى أمواج هادئة تتلاعب بأجساد السّابحين، فرفع رأسه إلى السّماء ونظر إلى السّحابة قليلا باستيّاء ثمّ قال بصوت مرتفع ناسيّا المصطافين المتواجدين هناك:

- أمجدّدا الصّوت قادم من فوقك أيّتها السّحابة؟

فإذا بالمصطافين هناك ينظرون إليه باستغراب مما جعله يخجل من نفسه، ويغادر المكان وهو يقول في نفسه:

- لا وجود لبحر فوق السّحابة كي يصدر منه صوت تلك الأمواج العاتيّة لأنّ بحار الإنس هي نفسها بحار الجنّ لذلك عليّ تصفّح مواقع الأخبار لأرى ما إن حدث تسونامي في مكان ما والجنّيّ أوصل إليّ صوت أمواجه تلك أم لا.
- ورغم تصفّحه لأكثر من موقع يقدّم آخر الأخبار إلّا أنّه لم يصل لشيء، ممّا جعله يفكّر قليلا ثمّ قال بصيغة الواثق من أنّه وجد الإجابة الصّحيحة على تساؤلاته:
- يا لي من غبيّ، فالجن يمكنهم ببساطة تقليد الأصوات بطريقة لا يضاهيهم فيها أحد، والدّليل على ذلك هو أنّ الجنّ يتحدّث بلسان الممسوس دون أن ينتبه أحد لوجود فرق بين ذلك الصّوت وصوت الممسوس الحقيقيّ، وبالتّالي فما كنت أسمعه طوال ما مرّ من الوقت لم يكن سوى تقليد أصوات دون ان أنتبه للأمر.

ثمّ أخذ نفسا عميقا وقال بابتسامة الواثق من نفسه:

- وأخيرا فهمت حقيقة ما كنت أسمعه.

لكن بعد مرور لحظات على حالة النّشوى الّتي انتابته تلك زالت الابتسامة عن وجهه، وبدأ مجدّدا في التّساؤل والقول:

- لكن لماذا أنا فقط من كان يسمع تلك الأصوات؟ ولماذا طلب منّي الجنّيّ عدم السّؤال عمّا يحدث فوق السّحابة إلى أن ينتهي الصّيف إن كان الأمر بالبساطة الّتي فسّرت بها ما كنت أسمعه؟ خاصّة أنّه قال لي: لا تسألني عمّا يحدث فوق السّحابة ولم يقل لا تسألني عمّا تسمعه من فوق السّحابة أم أنّه أخطأ التّعبير فحسب؟

ومجدّدا عاودته حالة الحيرة، والتّساؤل الّتي كان يعيشها سابقا والّتي استمرّت معه بشكل يوميّ إلى أن جاءت نهاية الصّيف أخيرا ومعها نزول الجنّيّ إلى الأرض في آخر أمسيّة منه، وبسرعة قال له عبد النّور:

- أنا لا أطيق الصّبر أكثر ممّا صبرته لذلك هيّا أخبرني بسرعة عن حقيقة الأصوات الّتي كنت أسمعها من فوقك ولا تبخل عليّ بشيء.

فقال الجنّيّ بابتسامة:

- حسنا يا بنيّ، سأخبرك بكلّ شيء، وأوّل هذه الأشياء هو أنّي أب لولدين أحدهما كبير، والآخر صغير، فأما الكبير فهو راشد حكيم لذلك في اليوم الّذي يأتي فيه لزيّارتي وإحضار الطّعام، والدّواء لي، يكون ذلك اليوم هادئا، ولا تسمع فيه أيّ صوت، لكن في اليوم الّذي يفعل فيه أخوه الصّغير -الّذي لم يبلغ سنّ الرّشد بعد- ذلك فإنّك تسمع الكثير أو القليل منها حسب مزاجه وهذا لأنّ تقليد الأصوات هو تسليّته المفضّلة.

فقال له عبد النّور بتفاجؤ:

- آه، إذا هذا ما حدث إذا! والله لقد خطر لي هذا الأمر مرّة لكن بعض التساؤلات جعلتني أعتقد أنّي على خطأ ومن بينها: لماذا أنا فقط من كنت أسمع تلك الأصوات ولم يكن يسمعها شخص آخر غيري؟

الجنّيّ:

- لم يكن أحد يسمعها غيرك لأنّنا نحن الجنّ محجوبون عنكم يا معشر الإنس صوتا وصورة، ولأنّنا نتعامل معك فقد جعلتك تسمع أنت فقط ما يصدره ابني الصّغير من أصوات مقلّدة، وهذا كلّ ما في الأمر.

عبد النّور:

- ولماذا جعلتني أسمع تلك الأصوات وفي نفس الوقت طلبت منّي عدم سؤالك عنها إلى أن ينتهي فصل الصّيف؟

الجنّيّ:

- فعلت ذلك كي أجعلك تتسلّى بالتّفكير فيما يحدث معك، وأيضا كي تتشوّق لمعرفة الحقيقة أي جعلتك تعيش نفس الإحساس الّذي تعيشونه أنتم البشر عندما تشاهدون فيلما مشوَقا مثلا، فهل استمتعت بالأمر؟

عبد النّور:

- لا أنكر أنّي استمتعت به لكن مع ذلك فقد مرّت بي لحظات أحسست فيها بالخوف منك وممّا أسمعه من أصوات تصدر من فوقك، لكن عموما شكرا لك لأنّك جعلتني أعيش صيفا لا أعتقد انّ أحدا عاش مثيلا له من قبل.

وبتبادل كلمات الشّكر والودّ بينهما افترقا وكلّ واحد منهما يتمنّى الخير للآخر.

العبرة من القصّة:

1- **ما تقوم به من خير يعود عليك.**
2- الحكيم يقوم بعمله في صمت ومن دون ضجَة، لكن السّفيه يصحب عمله بالكثير من الضّجيج فاختر أيّ نوع من الأشخاص تريد أن تكونه.

لماذا ليس لديه الوقت ل...؟

عندما استيقظ رؤوف من نومه دون أن يسمع صوت منبه هاتفه -الموضوع بجانبه على السرير- اعتقد أنه لم يغف سوى لبعض لحظات، لكن عندما نظر في الهاتف ليرى كم الساعة، رفع رأسه عن الوسادة مذعورا وهو يقول:

- يا إلهي، كيف نمت كل هذا الوقت دون أن يرن هاتفي، أم أني نسيت ضبطه قبل نومي، وعندما تأكد من عدم قيامه بذلك، نهض بسرعة من سريره، وشرع في ارتداء حذائه بسرعة وهو يقول لنفسه:
- هيا أسرع كي لا يفوتك شيء، هيا أسرع كي لا يفوتك شيء.

فإذا بأمه تدخل عليه وهي تقول:

- وما هذا الذي عليك الإسراع كي لا يفوتك منه شيء؟

فردّ رؤوف -وهو يضع هاتفه بسرعة في جيبه-

- لا وقت لديّ لأشرح لك.

ثم جرى خارجا من الغرفة وأمه تقول له:

- انتظر يا فتى فأنا أريدك أن تشتري لي بعض الأغراض من السوق.

لكنها لم تسمع -كرد على ما قالته- سوى صوت الباب الخارجي، وهو يغلق بقوة من قبل رؤوف الذي واصل جريه على سلم العمارة، ليصطدم في طريقه بجاره العجوز، الأمر الذي أسقط كيس البطاطا من يد ذلك المسكين، وجعل حباته تتناثر على الدرج، لكن مع ذلك واصل رؤوف جريه دون أن يبالي بعمر جاره العجوز، أو بكلامه وهو يقول له:

- رغم أنك أسقطت الكيس من يدي عن غير قصد منك، لكن على الأقل ساعدني في لمّ حبات البطاطا المتناثرة.

لكن وكما يقول المثل فلا حياة لمن تنادي، ولم يسمع من رؤوف وهو يواصل جريه غير القول:

- لا وقت لديّ لفعل ذلك.

وكما نزل جريا على الدرج، فقد خرج جريا أيضا من العمارة، ولشدة استعجاله لم ينظر لا يمينا، ولا شمالا وهو يعبر الطريق إلى الجهة الأخرى، ممّا جعل سيارة كانت تمر حينها من هناك تتوقف بسرعة على مقربة منه، ولولا ستر الله، لكانت صدمته، ممّا أغضب سائقها الذي قال بانزعاج:

- ألا تنتبه يا رجل؟

لكن رؤوف الذي لم يتوقف عن الجري، لم يرد سوى بالقول:

- لا وقت لدي لفعل ذلك.

وعندما أصبح قريبا من مجموعة من التلاميذ الماشين أمامه، شرع في القول:

- ابتعدوا ودعوني أمر، ابتعدوا ودعوني أمر.

وما إن التفت التلاميذ إليه ليفهموا ما الحكاية، حتى فوجئوا به يمر بينهم كالصاروخ، من دون أن يباليّ بمن أسقطه أرضا منهم، أو دفعه نحو الجدار، أو جعله يحتك بقوة بصاحبه. وطبعا واصل جريه كالأرنب من دون توقف، لأن كل ما كان يهمه هو أن يصل بسرعة إلى مقصده، وعندما قال له أحد المعلمين -الذي كان شاهدا على سلوكه-

- لماذا لا تنتبه لسلوكك يا رجل، وتجعل من نفسك قدوة للأولاد وهم في هذه السن؟

رد رؤوف برده المعتاد:

- لا وقت لديّ.

وعندما تعب من الجري، توقف ليستعيد أنفاسه قليلا، فإذا بصوت أحد معارفه يناديه من شرفة شقته أن:

- تعال وساعدني في إنزال الثلاجة، كي آخذها لمن يصلحها.

لكنه رد بالقول:

- لا وقت لديّ.

وأطلق ساقيه للريح مجددا، إلى أن فاجأه خروج طفل صغير من محل لبيع المثلجات، وهو يحمل في يده بوظة يأكل منها، فاصطدم به، وأسقطه أرضا مع بوظته التي ساحت على الأرض، لكنه مع ذلك لم يبال وواصل جريه تاركا الطفل ينظر لبوظته التي ساحت على الأرض، وهو على وشك البكاء ويقول:

- لقد أتلفت بوظتي، وعليك شراء واحدة أخرى لي.

لكنه لم يسمع من رؤوف سوى قوله وقد ابتعد:

- لا وقت لديّ.

وواصل جريه رغم وصول بكاء الطفل لأذنيه، وعندما دخل إلى شارع آخر، رأى رجلا يقترب من امرأة تمشي لوحدها على الرصيف، ثم وبخفة خطف حقيبتها اليدوية من يدها، وانطلق هاربا في اتجاه معاكس لاتجاه رؤوف الذي نادته المرأة، وطلبت منه الإمساك بالسارق قائلة له:

- أمسكه يا أخي، أمسكه يا أخي.

لكنه رد بأنه لا وقت لديه، وترك السارق يمرّ بجانبه من دون أن يمسك به، وواصل جريه غير مبال بشيء غير مقصده المجهول، وعندما سمع المؤذن يؤذن لصلاة العصر، صاحب ذلك رنين هاتفه في جيبه ممّا جعله يقول في نفسه:

- أخشى أن أردّ فيكون المتصل واحدا ممّن انتبه لعدم وجودي، واتصل بي ليخبرني بأنه -ويا حسرتاه- قد فاتني الكثير، طالما الوقت الآن هو وقت العصر، لكنه مع ذلك تحامل على نفسه، وردّ على المتصل من دون حتى أن ينظر من هو لأن ذلك سيبطئ من سرعته، فإذا بالمتصل أحد أصدقائه الذي قال له بأنه ينتظره أسفل العمارة، كي يذهبا معا للصلاة في المسجد، فردّ عليه رؤوف بالقول:
- انا لست في المنزل، ولا وقت لدي لأشرح لك أكثر.

وواصل جريه وهو يحمد الله أنّ الأمر ليس كما اعتقده، وما إن انتهى من قول عبارته تلك، حتى تعثر وكاد يسقط، لكنه لم يسقط، وهاتفه الذكي الذي استعاره من أخته هو الذي سقط من يده ليقع مباشرة على الطريق، وتمر فوقه عجلتا إحدى السيارات، وتتركاه حطاما لا فائدة منه، ورغم ثمن الهاتف المرتفع، ووجود كل أرقام أصدقائه، وبعض صوره فيه، إلّا أنه وبعد نظرات بسيطة إلى حطامه انطلق جاريّا مجددا وهو يقول مواسيا نفسه:

- لا بأس بما جرى، والمهم هو ألا يفوتني ما أجري منذ مدة كي ألحق به.

وعندما وصل إلى مقهى الحي، دخل ونظر مباشرة إلى التلفاز وهو يلهث من شدة التعب، ثم نظر في ارجاء المقهى المكتظ بالناس لعله يجد مكانا للجلوس فيه، لكن من دون جدوى، لأن المقهى كان مكتظا لدرجة أن بعضا من المتواجدين فيه، لم يجد كرسيا للجلوس عليه فجلس على الأرض، بينما فضل بعضهم الوقوف بمحاذاة الجدار، والجميع لا شغل لهم غير التحديق في التلفاز، فقال رؤوف في نفسه عندما رأى ذلك:

- يا ليتني كنت هنا باكرا لأحجز لنفسي كرسيا أجلس عليه، لكن لا بأس فالمهم هو أنني هنا الآن والباقي أمره غير مهم.

ثم اتكأ على الجدار، وركز عينيه على شاشة التلفاز كما هو حال كل الموجودين هناك من دون أن يكلم أي أحد منهم الآخر، وبعد مضي بعض من الوقت كان فيه الصمت هو سيد الموقف، ولا صوت يسمع في المقهى غير الصوت الصادر من التلفاز، إلّا أن جدار ذلك الصمت سرعان ما انهار على وقع صراخ بعض المشاهدين وهم يقولون بحسرة:

- لا...لماذا تركتها تدخل يا غبي...يا لحظنا السيء اليوم...إلخ.

في حين كان البعض الآخر -ومن ضمنهم رؤوف- يصرخون بفرح قائلين:

- رائع...لم أر هدفا جميلا كهدف اليوم...لقد فعلتها برشلونة...لا شيء يعادل مباراة ريال مدريد وبرشلونة...يحيى الكلاسيكو...إلخ.

وهكذا فقد اتضح في النهاية لماذا لم يكن لدى رؤوف الوقت ل...!!!

العبرة من القصة:

يمضي الكثيرون حياتهم وهم يجرون وراء تحقيق غايات تافهة غير آبهين لما يسببه ذلك من أذى لأنفسهم، ولغيرهم، لذلك انتبه دائما للغاية التي تجري وراءها من أجل تحقيقها.

الثّعلب وعرش الأسد

يحكى أن ثعلبا أراد الاستيلاء على عرش الأسد، كي يتولى حكم إحدى الغابات، ولأنه كان يرى أنه لا وجود لأحد في الغابة أذكى منه، فقد كان مقتنعا من أن حيوانات الغابة ستختاره ملكا عليها، إن هو قتل الأسد وعائلته الحاكمة، ولأجل فعل ذلك فقد قام باصطياد غزال، وطلب من أفعى لدغه، وبعد موته، قام بإرساله كهدية للأسد، وفي الغد عندما اتجه إلى عرين الأسد، كي يرى جثته وجثث أفراد عائلته، تفاجأ بالأسد يزأر أمام عرينه، فسأله بعد أن زال عنه بعض التفاجؤ، عن لحم الغزال، وما إن كان قد أعجبه أم لا، فرد الأسد بالإيجاب، وبأن ابنه قال له من العيب أكل كل هذا اللحم اللذيذ لوحدنا، دون ترك حصة منه للثعلب الذي أهداه لنا. فارتبك الثعلب وقال بأنه اصطاد غزالين، وقد أكل من الغزال الذي أبقاه لنفسه، قبل مجيئه لرؤية الأسد، لذلك لا رغبة له في الطعام. فقال له الأسد بأنه سيذهب للصيد ظهرا، وسأله إن كان يريد الذهاب معه، فابتسم الثعلب ورد بالإيجاب، ثم انطلق بسرعة مبتعدا عن المكان، وهو يتساءل عن كيفية نجاة الأسد من ذلك السم الذي لا يمكن لأحد النجاة منه، ولأنه عجز عن إيجاد الإجابة، فقد تجاهل الأمر، وواصل جريه إلى أن وصل إلى قطيع الذئاب، فأخبر زعيمهم أن الأسد خارج للصيد، وأن الفرصة مواتية كي يقتله زعيم الذئاب انتقاما لقتله أبيه، الذي كان يريد أن يصبح ملكا على الغابة، فقال الذئب بأنه مستعد لقتله، لكن بشرط أن يحضره الثعلب إلى المكان الذي سينصب فيه الذئب فخا له، فوافق الثعلب وانطلق مسرعا إلى الأسد، وأخبره أن هناك مكانا مليئا بالأرانب، وأنه لا مكان أنسب للصيد فيه من ذلك المكان، فذهب الأسد وبعض حاشيته مع الثعلب إلى ذلك المكان، وبمجرد وصولهم إلى هناك، حاصرتهم مجموعة من الذئاب مكشرة عن أنيابها، وزعيمهم يقول

- وأخيرا جاءت لحظة الأخذ بثأر أبي منك يا أسد.

فإذا بمجموعة من الأسود تصل إلى ذلك المكان وهي تزأر، الأمر الذي فاجأ الثعلب والذئاب كثيرا، فقال الثعلب بمكر

- الحمد لله على قدوم هذه الأسود القوية إلينا، لكنك لم تخبرني يا مولاي بأنهم سيلحقون بنا.
- الأسد: وهل كان علي فعل ذلك؟
- الثعلب: حاشا يا مولاي، فأنت ملك الغابة، ولا يجب عليك إعلامي بما تفعله، أو لا تفعله.

وهنا نظر الأسد إلى زعيم الذئاب وقال له

- أنا الأسد ملك الغابة، أدعوك لأمرين، إما مغادرة غابتي مع قطيعك، أو منازلتي لنرى من سيموت، ومن سيكون ملكا على الغابة.

ولأن زعيم الذئاب واثق من قوة الأسد، فقد اختار الانسحاب من المكان مع ذئابه، وهو يكاد يموت غيظا، تاركا الأسد غصة في حلق الثعلب، الذي قال له الأسد

- هل أنت يا ثعلب من أخبر الذئاب بأني سآتي إلى هذا المكان؟
- الثعلب: طبعا لا يا مولاي، لكن طالما زعيم الذئاب حاقد عليك، فلا بد من أنه كان يراقب تحركاتك طوال الوقت، كي يستغل الفرصة عندما تأتيه، ويثأر منك. لكن ولله الحمد فقد نجاك الله منه، وكل ما نرجوه هو أن يبقيك دائما تاجا فوق رؤوسنا يا مولاي.

ولأن ما اتفق مع زعيم الذئاب على فعله قد باء بالفشل، فقد خطرت للثعلب حيلة أخرى، حيث وبمجرد عودته من الصيد، ذهب لزيارة ابن عم الأسد، وقال له

- أنت أسد قوي وشجاع، ووالله، إني لا أرى أحدا يستحق أن يكون ملكا على الغابة بعد ملكنا حفظه الله، غيرك أنت، لأنه وللأسف الشديد مريض بمرض خطير، لا أحد يعلم به غيري أنا وطبيبه، ولأن أجله قد اقترب، فأنا أخشى أن ينصب أحدا ما ملكا بدلا عنه، ولا يكون ذلك الأحد بمثل قوتك، وشجاعتك، لذلك جئت لإخبارك بضرورة تجهيز نفسك كي تخلف ابن عمك، لكن في سرية تامة، حتى لا يكشف أمرك، ويقضى عليك.
- ابن عم الأسد: هذا الأمر لن أنساه لك ما حييت يا ثعلب، لكن كيف عرفت بمرض الأسد؟
- الثعلب: لقد علمت بذلك صدفة، حيث أحضر له الطبيب دواء خفية ونحن نصطاد، وقال له بأنه سيخفف عنه الألم فقط، لكنه لن يشفيه، كما أن وهن الأسد أثناء الصيد كان باديا جدا عليه، وإن أخبرك أحد من حاشيته بغير هذا الكلام، فلا تعتد به، لأن كل ما يهمهم هو التملق له، ومدحه، كي لا يخرجهم من حاشيته.

  ابن عم الأسد: لقد صدقت، ولكي لا أعطي لابن عمي فرصة تنصيب ملك جديد قبل رحيله، فسأقضي عليه في أقرب فرصة ممكنة.
- الثعلب: وكيف ستفعل ذلك؟
- ابن عم الثعلب: سأفكر في الأمر وأرى، أما أنت، فابقى قريبا من الأسد، وأعلمني بكل ما يقوم به.

فوافق الثعلب على ذلك، وانطلق إلى الأسد وهو مسرور، وبينما هو يتعشى معه ومع بعض حاشيته على ما اصطادوه، إذ بابن عم الأسد يقترب منهم، ويقول بثقة وتفاخر، مخاطبا الأسد

- ابن عمي يا أسد.
- الأسد: ما هذه الجرأة، وكيف حذفت كلمة مولاي مما قلته؟!
- ابن عم الأسد: حذفتها لأني لا أريدك بعد اليوم أن تكون ملكا علينا، ولأن من عاداتنا أن يتبارز من يريد الملك مع الملك، والفائز يصبح ملكا، فقد جئت لمبارزتك، أم أنك ستجبن عن ذلك؟

وهنا اغتاظ الأسد وقال بعزة

- وهل من مثلي يخاف ويجبن عن منازلة من هو مثلك؟

ثم قفز من مكانه بسرعة، وبدآ المبارزة، والثعلب ينظر إليهما بسرور، لأنه يعلم أن ابن عم الأسد إن انتصر، فلن تسمح له حيوانات الغابة بأن يكون ملكا عليها، بسبب فظاظته وسوء سلوكه، وبالتالي هو من سيكون الملك إن مات الأسد، لكن ذلك لم يحدث، وانتصر الأسد على ابن عمه، وقام بقتله، فاغتاظ الثعلب كثيرا، لكن مع ذلك تظاهر بأنه سعيد لانتصار الأسد على ابن عمه، وقام مهنئا له، ثم عاد لوكره وهو يقول في نفسه

- ما جعل ابن عم الأسد يتجرأ عليه، هو اعتقاده بأنه مريض فعلا، ولا يقوى على مبارزته، والانتصار عليه، لكن ولسوء حظي، فرغم تقدم الأسد في السن إلا أنه لا يزال محتفظا بقوته، لذلك علي البحث عن حيلة أخرى، من أجل القضاء عليه.

  وفي سبيل إيجاد حيلة أخرى يقضي بها على الأسد، فقد أمضى الثعلب ليلته وهو يفكر، وفي الغد انطلق إلى الغابة المجاورة، حيث يتواجد صديقه زعيم الذئاب وقطيعه، وأخبره أنه إن كان لا يستطيع القضاء على الأسد، فيمكنه جعل شعبه يثور عليه، إن وجده غير قادر على توفير حياة آمنة له، وعندما طلب منه زعيم الذئاب المزيد من التوضيحات، قال له

- كل ما عليك فعله هو إرسال مجموعة من الذئاب لغابة الأسد، كي يقتلوا بعض حيواناتها، ويسرقوا ممتلكاتهم، ويشعلوا النيران فيها أيضا، وأنا بعدها سأحرض حيوانات الغابة على الأسد،

بحجة عدم قدرته على حمايتهم، وبعد أن يعزل ويصبح وحيدا، سيكون من السهل عليك القضاء عليه، فما رأيك بهذا؟

ودون تفكير وافق زعيم الذئاب على الأمر، وأرسل ليلا بعضا من أتباعه إلى غابة الأسد، كي يعيثوا فيها فسادا، لكنهم فوجئوا بمجموعة من الأسود تعترض طريقهم، وتقضي عليهم الواحد بعد الآخر، إلا ذئبا واحدا تمكن من التسلل إلى الغابة، وقام ببعض ما اتفق الثعلب وزعيم الغابة عليه، ثم عاد إلى غابته، وعندما طلع النهار، استغل الثعلب تلك الأعمال، وقام بتحريض حيوانات الغابة على الأسد، حيث كلما التقى بأحدهم قال له بمكر

- ملكنا لا وجود لمن هو أطيب منه، لكنه لا يستطيع حمايتنا، وطالما هناك من تجرأ علينا هذه المرة، فحتما سيتجرأ علينا غيره مرات أخرى، لذلك أخشى أن يحدث تمرد يطيح بملكنا المسكين، وينصب ملكا آخر يعيد لغابتنا هيبتها، طالما هذا ما فعله الكثيرون قبلنا.

ولأن الخوف قد سيطر على الجميع، وكلام الثعلب قد أثر فيهم، فقد اجتمعوا، وقرروا الإطاحة بالأسد، ثم توجهوا إليه ليطلعوه على الأمر، وعندما وصلوا إلى عرينه، أخبرتهم زوجته أنه خرج في مهمة، وعليهم انتظاره إلى أن يعود، وعندما عاد وأخبروه بقرارهم، قال لهم

- من كان وراء ما حدث هو زعيم الذئاب وأتباعه، وقد قتلنا بعضا ممن أرسلهم إلى غابتنا كي يعيثوا فيها فسادا، كما أني الآن عدت من مهمة ملاحقة زعيم الذئاب، وأتباعه، وقد تمكنا من قتل الكثير منهم، وإبعاد الباقي عن غابتنا لمسافات بعيدة، لذلك اطمئنوا ولا تخافوا، وانسوا ما حدث، لأني لن أتهاون أبدا في حمايتكم، والدفاع عنكم، وإيقاف كل من يتجرأ عليكم عند حده.

وعندما لاحظ الثعلب أن كلام الأسد طمأن الحيوانات، وجعلها تتخلى عن قرارها صاح والغيظ يملأ قلبه

- عاش الملك...يحيى الملك.

فرددت الحيوانات بعده نفس الكلام، ثم ذهب كل واحد منهم لحال سبيله، في حين ذهب الثعلب للبحث عن زعيم الذئاب، وعندما وجده، قال له

- إن الأسد لن يفضل العرش على ابنه، لذلك قم بخطفه، ثم اطلب من أبيه التنازل عن العرش كفدية لإعادة ابنه إليه، وهو حتما سيلبي طلبك.

فوافق زعيم الذئاب على ذلك، وشرع في تنفيذ خطته، المتمثلة في إرسال مجموعة من الغربان للعب مع ابن الأسد، واستدراجه بعيدا عن أبيه، ليتم خطفه، لكن الأسد كان متيقظا، ومنع ابنه من الابتعاد عنه، كما طلب من أسدين آخرين حراسته طوال الوقت، وعدم تركه يبتعد كثيرا عن عرينه، الأمر الذي أفشل خطة الثعلب، وزعيم الذئاب، وجعل الثعلب يفكر في حيلة جديدة للتخلص من الأسد، وهداه تفكيره إلى إشاعة القول بفساد الأسد وسط الحيوانات، وبأنه يرتكب الكثير من الموبقات في حقها، ودون علمها، مثل الإيقاع فيما بينها، مطبقا قاعدة فرق تسد، وقتل الكثير ممن أعطاهم الأمان كي يطعمهم لحاشيته، ورمي كل من تسول له معارضته في بئر عميق، وغيرها من التهم الباطلة، ولكي لا يكتشف الأسد أمره ويعاقبه، فقد لجأ لكتابة تلك الأمور على الأوراق، وقام بتوزيعها ليلا في كل أرجاء الغابة، وما إن طلع الصباح، وقرأت الحيوانات ما كتبه الثعلب، حتى دخلها الشك، وعمت الفوضى والخوف من الأسد بينهم، حتى أن بعضهم قرر مغادرة الغابة، لكن الأسد ولكي يكسب ثقة الحيوانات مجددا، فقد أعلن أنه على كل واحد من حيوانات الغابة يوم الجمعة، كتابة ما يرى أنه دليل على فساد الأسد، ثم التوجه إليه ووضع ما كتبه في صندوق أمام عرينه، ذلك أن الحيوانات إن جبنوا على مواجهته بما يرونه فيه من عيوب، فلن يجبنوا على فعل ما قاله لهم الأسد، لأنه لن يضر بهم طالما لن يوقعوا بأسمائهم على ما سيكتبونه، وعندما جاء يوم الجمعة، اجتمعت الحيوانات أمام عرين الأسد، بعد وضع ما كتبوه في الصندوق، فطلب الأسد من الثعلب إخراج الأوراق، وقراءة ما كتب فيها، لكنه وكلما أخرج ورقة وجد المكتوب فيها هو:

- لا دليل لدي على فساد الملك، أو لا أعلم عنه إلا كل خير.

إلا ورقة واحدة في الأخير كتب عليها

- الأسد أناني، ومتسلط.

وطبعا الثعلب هو كاتب ذلك، وحينها قال الأسد

- هل ما سمعتموه الآن صحيح يا حيوانات الغابة؟

فردت الحيوانات بصوت واحد

- طبعا لا يا مولانا.
- الأسد: فكيف إذا تجعلكم مجموعة من الكلمات المغرضة، تشكون بي؟ ألهذه الدرجة يمكن لأعدائنا القضاء على الثقة التي بيننا بسهولة! ثم أين هذه البئر التي رميت فيها جثث معارضي ها؟ أين هي؟ أين؟

فطأطأت الحيوانات رؤوسها خجلا منه، إلا الثعلب الذي اشتاط غيظا، لفشل حيلته مجددا، ولأن ما زرعه من شك في قلوب حيوانات الغابة، قد جعله الأسد يزول فقد شرع في التفكير في حيلة أخرى، وقال

- الآن سأطبق القاعدة التي تقول فرق تسد.

وشرع في دعوة حيوانات الغابة إلى العمل على تقسيم الغابة إلى عدة ممالك، حيث كل جنس حيوان يختار ملكا عليه من نفس جنسه، إذ طالما كل الأجناس من خلق الله، فلماذا يعلوا جنس جنسا آخر، ويحكمه؟! وقد لجأ الثعلب لبث سمومه، من خلال الاعتماد على أصدقاء له من كل جنس حيوان موجود في الغابة، ولم يظهر هو في الصورة أبدا خوفا من الأسد، وعندما انتشرت دعوته تلك، وازداد أنصارها، انزعج الأسد من الأمر، وقام بجولة في الغابة، ليرى مدى حب حيواناتها له، ومدى رغبتهم في أن يبقى ملكا عليهم، فوجد ترحابا من الكثيرين، وتجاهلا من القليلين، إلى أن وصل إلى مكان في الغابة، بدا له أن من اجتمع فيه، لم يجتمع فيه هباء، وعندما اقترب منهم دون أن يروه، رأى الثعلب معهم وهم يتحدثون عن ضرورة انفراد كل جنس بحكم نفسه، فاقترب منهم الأسد، وقال لهم

- إن كان كل واحد منكم يريد مملكة خاصة بجنسه، فلا بأس، لكن قبل هذا أخبروني ما فائدة الملك؟

فسكت الجميع وهم ينظرون إلى بعضهم البعض، دون أن يملك أحد الإجابة على سؤاله.

- الأسد: هيا أيها الثعلب، أجب أنت عن سؤالي، فأنت حيوان ذكي، ولا بد من أنك تعرف الإجابة.
- الثعلب: يا مولاي، الملك هو السيد، يقول فيسمع، ويأمر فيطاع، ومكانته يحسده عليها كل من ليس بملك.
- الأسد: ذاك كلام من يرى الملك تشريفا لا تكليفا، لكن من يراه تكليفا لا تشريفا، يقول بأن الملك مثل الأب مع أبنائه، يرعاهم، ويحميهم، ويعدل بينهم، ويعمل كل ما في وسعه كي يوفر لهم الحياة الطيبة التي يرجونها، فهل قصرت يوما في هذا أيتها الحيوانات؟

فقالت الحيوانات باستحياء

- لا يا مولاي.
- الأسد: وأنت يا ثعلب، هل أنت أهل لتحمل أعباء الملك، كي تريد انتزاعه مني وبشتى الطرق؟
- الثعلب: أنا! حاشا يا مولاي، فأنا لست سوى خادما من خدامك.
- الأسد: أحقا يا ثعلب؟
- الثعلب: حقا يا مولاي.

- الأسد: فهل سألت يوما نفسك كيف نجوت من سم الأفعى التي طلبت منها لدغ الغزال الذي أهديته لي ذات مرة؟

فدهش الثعلب، وخطر له أن الأفعى هي من خانته وأخبرت الأسد بكل شيء، ثم قال له

- أنا يا مولاي أهديتك غزالا مسموما!
- الأسد: نعم، وقد ماتت الغربان التي أكلت لحمه، فهل موتها ذاك كان من دون سبب؟
- الثعلب: أنا يا مولاي لا أعرف شيئا عن الموضوع، وإن كان لحم الغزال قد سمم، فلابد أن أحدا غيري قد سممه، لأنه لا يمكن لخادم مخلص لك مثلي أن يفعل ذلك.
- الأسد: أنت الآن بجانب شجرة، فهلا رفعت رأسك لترى ما ذا يوجد فوقك.

ففعل الثعلب ذلك، ثم قال

- لا يوجد فوقي غير الأغصان، والأوراق، وعصفور صغير.
- الأسد: انطق أيها العصفور.
- العصفور: لقد رأيتك يا ثعلب، وأنت تتفق مع الأفعى على تسميم لحم الغزال الذي أهديته لمولانا، فذهبت إليه وأخبرته بالأمر، ومنذ ذلك اليوم وأنا مكلف بمراقبتك، وكشف مؤامراتك، التي وبحمد الله كشفتها كلها.
- الأسد: أرأيت يا ثعلب، فكما يوجد خونة، يوجد أوفياء، وكما يوجد أذكياء، يوجد من هو أذكى منهم، ولأني صبرت عليك كل هذا الوقت كي أعرف كل الأشرار الذين يساعدونك، وقد أصبحت أعرفهم الآن، فقد انتهى دورك لذلك.

ثم هجم على الثعلب، وأمسكه بأسنانه من عنقه إلى أن فارق الحياة، ثم قال لباقي الحيوانات الموجودة هناك

- ألازلتم لا تريدون أن أكون ملكا عليكم، كي يتلاعب بكم آخرون كما تلاعب بكم الثعلب؟
- الحيوانات: بل نريدك ملكا علينا، فأنت تستحق ذلك.

الجرم المجهول

بعد أن صلى الصبح، قام علاء الدين –وقبل فتح محله المتواجد أسفل العمارة التي يقطن فيها، والخاص ببيع المواد الغذائية– بتعليق لافتة بجانب باب محله، مكتوب عليها: لقد أجرمت في حق كل واحد منكم يا جراني الأعزاء، دون أن تكتشفوا أمري، والآن أنا نادم على ما فعلته معكم، وأطلب منكم جميعا مسامحتي دون أن تعرفوا الجرم الذي اقترفته في حق كل واحد منكم، لأن معرفتكم به قد تجعل الكثير من الحقد عليّ ينموا في قلوبكم، وأنا أريد لقلوبكم أن تبقى ناصعة لا حقد فيها، ولا غل...جاركم علاء الدين -وكلما خرج أحد من الجيران وقرأ ما كتبه علاء الدين- استغرب الأمر، وأراد أن يعرف الجرم الذي اقترفه علاء الدين في حقه، لكن دون جدوى، لأن علاء الدين كان دوما يرفض الإجابة، ولأن الفضول من طبيعة البشر، فقد بدأ كل واحد من الجيران يفكر في الجرم الذي يكون علاء الدين قد اقترفه في حقه، فالذي وجد رسائل غرامية في هاتف زوجته، اعتقد أنه هو من أرسلها، ومن سرقت سيارته اعتقده من سرقها، ومن اتهم في أمانته، اعتقده من روج تلك الإشاعة عنه، ومن سوء الحظ يلازمه منذ مدة، وأخبره الراقي أن عينا أصابته، اعتقده من أصابه بها، ومن قيل له بأنه سحر من قبل شخص يغار منه، اعتقده من سحره...إلخ، لدرجة أنه لو كان في مقدور الإنسان التحكم في الزلازل، والفيضانات، لكانوا اعتقدوا أنه هو وراء حدوثها، ولأن علاء الدين ظل صامدا، ولم يرضخ لإلحاح جيرانه الذين كانوا في كل مرة يصرون أن يعترف لهم بما يخفيه، فقد لجأ بعض منهم إلى الشرطة، طالبين منها فتح تحقيق مع علاء الدين فيما يعتقدون أنه قام به لإلحاق الضرر بهم، ورغم استجابة الشرطة لهم إلا أنها لم تصل لشيء معه، وظل حرا طليقا، لكن معاملة جيرانه له تغيرت، حيث لم يعودوا يشترون من عنده حاجياتهم،

كما أنهم لا يحدثونه، ولا يلقون عليه حتى السلام، وإن ألقاه هو عليهم لا يردون عليه، وإن التقى بأحدهم في الطريق أشاح بوجهه عنه، ما أدخل الحزن إلى قلبه، وجعله يبدوا دائما وحيدا لانفضاض جيرانه من حوله، وحديثهم بالسوء عنه مع باقي معارفه، وحتى عندما مرض ودخل إلى المستشفى، لم يذهب أحد منهم لعيادته، لا في المستشفى، ولا في بيته، رغم علمهم أنه يعيش وحيدا بعد موت زوجته، ويحتاج لمن يخدمه ويرعاه إلى أن يشفى، ولولا زيارة صديقه الأستاذ الجامعي له، وإحضاره الطعام والشراب له، لكان ربما مات جوعا وعطشا، وعندما تزوج أحد جيرانه لم يدعه إلى عرسه، كما أن أحدهم عندما مات وخرج علاء الدين للسير في جنازته، رفض كل جيرانه السير إلى جانبه، وكلما لا حظ أحد منهم وجوده قربه ابتعد عنه، إلى أن جاء ذلك اليوم الذي خطر فيه لأحد الجيران جعل علاء الدين يقسم على المصحف أنه ليس من سرق سيارته، وعندما علم الجيران بما سيفعله ذاك الجار، قرروا جميعا فعل نفس الشيء، وإن أبى القسم على المصحف، فسيعتبرون ذلك دليلا على إدانته، وسيطردونه من عمارتهم، وهو الأمر الذي اتفقوا عليه جميعا، وانطلقوا إليه ليخبروه به، لكنهم وجدوا محله مغلقا، ورغم انتظاره لمدة طويلة إلا أنه لم يأت، وحتى عندما دقوا عليه باب شقته لم يفتح لهم الباب، كما لم يلحظوا أي شيء في خارج الشقة يوحي بتواجده داخلها، وبعد عدة أيام حضر صديقه الأستاذ الجامعي إلى أمام العمارة، في وقت متأخر نوعا ما، كي يضمن تواجد الجيران جميعا هناك، وشرع يقول في مكبر الصوت

- يا جيران علاء الدين، كل من يريد منكم أن يعرف الجرم الذي ارتكبه علاء الدين في حقه، فليخرج ليسمع ذلك مني.

وكرر كلامه عدة مرات، إلى أن لاحظ أنه لم تبق ولا شقة في العمارة، لم يطل أحد عبر نوافذها، أو من شرفتها، وحينها أخرج ورقة من جيبه وقال:

- هذه رسالة طلب مني علاء الدين قراءتها عليكم، لتعرفوا ما أجرمه في حق كل واحد منكم، لكنه طلب مني أيضا سؤالكم إن أجرمتم في حقه يوما ما أم لا، فماذا تقولون.

فارتفعت أصوات الجيران وكل واحد منهم يقول

- لم أفعل شيئا...أنا لم أؤذي أحدا في حياتي...لم تكن لدي أية علاقة به كي أضره أو أنفعه...

وغيرها من العبارات التي تنفي قيام أصحابها بما لا يليق، ثم قال أحدهم

- لقد كانت علاقتنا به طيبة، ولم نؤذه إلا بعدما علمنا حقيقته، فقد كنا نعتقده جارا طيبا، فاتضح بعدها أنه شيطان في ثوب بشر.

ليقول أحدهم بعده

- ما نريد معرفته الآن هو ما أجرمه في حق كل واحد منا، كما نريد أن نعرف لماذا طلب منك أن تخبرنا بالأمر ولم يفعل هو ذلك؟

وقول جار آخر

- الأمر واضح، فهو لم يأت ليخبرنا بنفسه، لأنه إنسان جبان، ويخشى ردة فعلنا عندما يكشف لنا ما يخفيه.

وقول آخر

- ما أريد أن أفهمه هو لماذا قرر أخيرا الاعتراف لنا بما أجرمه في حقنا، رغم إلحاحنا عليه كثيرا سابقا، دون جدوى؟

فردت عليه إحدى الجارات قائلة

- علاء الدين كتب في اللافتة التي بجانب محله أنه لا يريدنا أن نعرف ما أجرمه في حقنا، كي لا نحقد عليه، لذلك لا بد من أنه غير رأيه لأننا كرهناه وانفضضنا من حوله.

فقال جار آخر بانزعاج

- رجاء اسكتوا، فنحن هنا لسماع ما سيقوله ذلك الرجل، وليس لسماع ما ستقولونه أنتم.
- الأستاذ: يا ناس، يا محترمين، علاء الدين لم يخف منكم، ولم يجبن، بل توفي بسبب مرض خبيث كان يعاني منه منذ فترة، كما أنه كتب في الورقة التي طلب مني قراءتها عليكم، ما أجرمتموه في حقه، فكيف قلتم بأنكم لم تأذوه أبدا ها؟!

فقال أحد الجيران

- أنا لم أؤذه قط، وإن كتب العكس في تلك الورقة، فاقرأه علي.
- الأستاذ: علاء الدين ولأنه إنسان نبيل لم يذكر أسماء من آذاه، واكتفى بذكر الأذى فقط، وعندما أقرأ عليكم ما كتبه سيعلم كل واحد منكم ما أجرمه في حقه.

ثم قام بفتح الورقة التي كتبها علاء الدين وقال

- بسم الله الرحمن الرحيم
  يا جيراني الأعزاء، منذ أن جاورتكم وأنتم تأذونني من حين لآخر، وأنا أتظاهر بعدم معرفة ما تفعلونه، رغم اطلاعي عليه، لأن حفظ المودة يكون بالتغافل، أما الآن فسأقول لكم الكثير مما عرفته عنكم، فأنت يا من سرقت عدة مرات مواد غذائية من محلي، لقد رأيتك، وأنت يا من كنت تبعثر النفايات أمام محلي سرا، لأني رفضت شربك الخمر بجواره، لقد رأيتك، وأنت يا من كنت تطلب من الناس عدم شراء ما يحتاجونه من عندي لأن صلاحية ما أبيعه قد انتهت، كي يشتروا من عندك أنت ما يحتاجونه، لقد سمعتك، وأنت يا من أشعت عني بأني زير نساء لأني رفضت الزواج بك بعد رحيل زوجتي، لقد سمعتك، وأنت يا من اشتريت مني بعض المواد على أن تدفع لي ثمنها لاحقا، ثم تهربت من ذلك رغم امتلاكك للمال، لقد كشفت أمرك، وأنت يا من كنت تتظاهر بصداقتي كي أعيرك سيارتي، لقد سمعتك تتبجح بذلك، وبأنك نجحت في خداعي مرارا، ويامن طلبت ممن أجر لي المحل طردي منه لأني أبيع فيه المخدرات سرا كي يأجره لك لقد علمت بأمرك، وأنت يامن كنت تؤلبين زوجتي علي، غيرة وحسدا لأنك مطلقة، لقد كشفت أمرك، وأكتفي بهذا لأن مواقفكم المشرفة كثيرة أيها الشرفاء، ولأني علمت بأني مصاب بمرض يصعب الشفاء منه، فقد قررت اختباركم، لمعرفة مدى تسامحكم مع غيركم، فأعاملكم بالمثل، ولأنكم رفضتم مسامحتي، فأنا أيضا لن أسامحكم، لأن الجزاء من جنس العمل، فهل علمتم الآن الجرم الذي ارتكبته في حقكم؟...لم أرتكب أي جرم، وأنتم من أجرم في حقي وفي حق أنفسكم، ولست أنا من فعل ذلك.

ثم طوى الأستاذ الورقة ووضعها في جيبه، ونظر بعدها إلى الجيران، فإذا بهم ينظرون إلى بعضهم البعض بدهشة وندم، لكن ندمهم جاء بعد فوات الأوان.

سبب جرائم القتل الخمس

في الحي الذي تقطن فيه دلال، تحدث أحيانا بعض الشجارات، أو عمليات السرقة المحدودة، لكن لم يسبق أبدا أن حدثت جريمة قتل فيه إلى أن جاء ذلك اليوم الذي فزع فيه الناس بمقتل خمس أفراد من

عائلة واحدة، وهم أم تجاوز عمرها الخمسين، وابنتاها الشابتين مايا وباية، وابنيها الشابين أيضا علاء وعلي، وأكثر شيء دهش له الناس هو أن القاتل ليس سوى دلال الأخت الكبرى للمقتولين الشباب من أبيهم، وهي المعروفة بكونها فتاة مسالمة، وانطوائية، وقليلة الكلام، ونادرا ما يراها سكان الحي تخرج من بيتهم، وبسبب سمعتها تلك فقد قال أحدهم بأنه لولم يرها بعينيه وهي تطعن أخاها في السيارة لما صدّق أنها الفاعلة. ورغم أن المعروف عن المجرمين هو الهرب بعد ارتكابهم لجرائمهم، إلّا أن دلالا لم تفعل ذلك، بل اتجهت لأقرب مركز شرطة وسلمت نفسها، لتتجه الشرطة بعد ذلك لأماكن ارتكاب كل عمليات القتل تلك، فوجدت الأخ علي داخل سيارته المركونة أمام بيتهم وهو مقتول بخنجر مغروس في رقبته، وعلى بعد قريب منه توجد جثة أمه المرمية على الرصيف على بعد من باب المنزل الذي وبعد فتحه، وجد رجال الشرطة جثة الأخت مايا مرمية على الأرض أسفل الدرج المؤدي إلى الطابق الأول، وبعد صعودهم الدرج ودخولهم إلى الصالون، وجدوا الأخت باية جثة هامدة على الأرض وبجانبها كأس مكسور، وفي الوقت الذي كانت فيه فرقة الشرطة هذه تعاين مواقع الجرائم في البيت وما حوله، فقد كانت هناك فرقة أخرى قد اتجهت إلى مقهى الحي حيث توجد هناك جثة الأخ علاء الجالس على أحد الكراسي ورأسه يتدلّى على صدره بعدما ذبحته أخته ببرودة أعصاب تامة حسب شهادة الشهود، ورغم تسليم دلال لنفسها واعترافها بأنها من قتلت زوجة أبيها، وأخويها، وأختيها، إلّا أن أسباب ارتكابها لتلك الجرائم كلها وفي يوم واحد ظلت مجهولة لدى سكان الحي كلهم، لأنها لم تقل شيئا عن ذلك، بل ولزمت الصمت المطبق رغم إلحاح المحققين عليها، وحتى المحامي الذي عيّنته المحكمة ليدافع عنها، لم يستطع إقناعها بأن ذكر أسباب ما اقترفته قد يكون سببا في إفلاتها من حبل المشنقة، لأنها لم تبال به، وكلما أعاد على مسمعيها كلامه السابق تكتفي بابتسامة ساخرة، ثم تواصل صمتها الغريب ذاك في هدوء، وسكينة استغرب لهما كل من رآهما منها، وفي يوم المحاكمة عندما نادى عليها القاضي لتدلي بما لديها، نظرت إليه بهدوء، وحزن قليلا، ثم نظرت بنفس النظرة إلى الحاضرين في القاعة، والذين هم بدورهم بادلوها النظرات، ولكن نظراتهم كانت نظرات حيرة، وترقب لما ستقوله، ولأنها لم تقل شيئا فقد طلب منها القاضي مجددا الإدلاء بما لديها عن مقتل أفراد عائلتها، لترد عليه بنظرة كسابقتها، ثم أطرقت برأسها أرضا دون أن تقول شيئا، ولأن صمتها طال نوعا ما فقد بدأت الهمسات، والتساؤلات تعلو في القاعة وصل منها لمسمع دلال قول أحدهم:

- لماذا لا تقول شيئا يا ترى؟

وقول آخر:

- ظننتها جنت لذلك قامت بقتل أفراد عائلتها، لكن الأطباء قالوا بأنها لا تعاني من أي خلل عقلي، فلماذا فعلت ما فعلته إذا؟

ليرد عليه أحدهم بأنها ربما قتلت أفراد عائلتها غيرة منهم، لأنهم أكثر حظا منها في كل شيء من جمال، وثقافة، ووظائف محترمة في حين أنها فصلت من الدراسة في سن مبكرة، وبقيت في المنزل كي تقوم بشؤونهم كالخادمة، ليليّ ذلك صوت امرأة وهي تقول لإحداهن:

- ماذا لو أنها ليست القاتلة، والقاتل هو جن يسكنها، وهي لا تريد الكلام لأنها إن فعلت ذلك، وذكرت ما فعله، فسيقوم بإيذائها؟

فقالت لها التي تحدثها:

- هذا غير منطقي، لأنها في جميع الحالات ستتأذى، أم أنك لا تعلمين بماذا يحكم على القاتل.

فردت محدثتها بأنها تعلم، لكن أحيانا يكون الموت أهون الشرين، لأن إيذاء الجن للإنسان إيذاء لا يحتمل. فردت المرأة بالقول أنه إن كان ذلك صحيحا، فيمكن للرقاة التخلص من الجني

بالرقية، وبالتالي لن يؤذي دلال، وستتمكن بذلك من النجاة منه، ومن حكم الإعدام أيضا. لكن محدثتها شككت في ذلك وقالت بأنه:

- ربما للجني الذي يسكنها أعوان سيؤذونها إن تعرض هو للأذى، أو ربما هي تعشقه لدرجة تفضل معها الموت على ذكره، فيؤذيه الرقاة.

ثم تلى ذلك صوت أحدهم وهو يقول لآخر:

- ألا تعتقد أنها قتلت أفراد عائلتها، لأنها تمر بنوبات جنون، تعتريها من حين لآخر، وتلك النوبات لم تأتها بعد مقتل أفراد عائلتها إلى الآن، لذلك لم يكتشف الأطباء أمرها إلى غاية هذه اللحظة؟

فقال الرجل الآخر:

- لنفرض أن كلامك صحيح، لماذا لا تقول ذلك وينتهي الأمر، خاصة أن في ذلك طوق نجاة لها؟

ثم صوت امرأة يقول لأحدهم:

- دائما عندما كنت أزور زوجة أبيها، كنت أجدها تعامل كالخادمة، فهي من تغسل الأرضيات، والأواني، وهي من تغسل الثياب، وتقوم بكّيها، وهي من تحضّر الطعام أيضا، وأفراد عائلتها لا يتحدثون معها إلاّ حين طلب خدمة ما منها، كما أن علامات الحزن البادية على وجهها كانت لا تفارقها إلاّ فيما ندر، لذلك ربما سوء المعاملة تلك هي سبب قتلها لأولئك القساة بعد أن فرغ صبرها.

لكن الرجل الذي كانت تحدثه، قال لها معترضا:

- لكن ما أعلمه، هو أن ابن عمها كان سيخطبها عندما يأتي في الإجازة، فلماذا تقتل أفراد عائلتها وهي قريبا ستتخلص منهم بزواجها منه؟

فردت عليه المرأة بما لم يتوقعه وقالت:

- ما قلته أمر سابق تلاه تغيير ابن عمها لرأيه، واتخاذه قرار الزواج من أختها مايا، ويقال بأن زوجة أبيها هي من أقنعته بالأمر، بعدما قالت له بأن ابنتها أجمل من دلال، وأكثر ثقافة منها، كما أنها امرأة موظفة، وستساعده في مصاريف البيت، والأولاد بعد الزواج.

وبعدهما وصل لأذني دلال صوت رجل وهو يقول لأحدهم:

- منذ فترة قرأت خبرا في إحدى الجرائد، مفاده أن رجلا قام بذبح ابنه، بعدما رأى في المنام أنه يفعل ذلك، واعتقد أنها رؤيا من الله كما حدث مع سيدنا إبراهيم، فهل تراها هي أيضا حدث معها نفس الشيء يا ترى؟

ليرد عليه من يحدثه بالقول:

- ولما لا، كما أن كل ما سمعته من احتمالات منذ دخلت هذه القاعة يبقى واردا، لكن مع ذلك، فأنا لا أفهم صمتها، إذ لماذا لا تتكلم وتدافع عن نفسها؟ لماذا تلزم الصمت هكذا، أم سبب ذلك هو رغبتها في الموت قنوطا من الحياة؟

فرد عليه الرجل الأول قائلا:

- إن كانت راغبة في الموت، فالانتحار هو أسرع طريقة للوصول إليه، وليس قتل كل أفراد عائلتها لتقتل بعدها!

ولأن من في القاعة لم يكفوا عن الكلام فقد أزعج ذلك القاضي، الأمر الذي جعله يدق بمطرقته قليلا على الطاولة، طالبا من الناس السكوت، ثم وجه كلامه مجددا لدلال قائلا:

- لقد أكد الشهود يا دلال، قيامك برمي زوجة أبيك من الشرفة، وطعن أخيك بخنجر، وذبح الأخ الآخر في المقهى، أما أختيك فقد كشفت التحقيقات مقتل إحداهما بالسم، بينما الأخرى فقد ماتت بعد دحرجتها على الدرج، وأنا في انتظار ما ستقولينه عن كل هذا يا دلال..لماذا قتلت أفراد عائلتك يا دلال، وما تفسيرك لما اقترفته يداك؟

وبينما القاضي والحضور ينتظرون رد دلال، اكتفت هي بالنظر إلى القاضي قليلا بنظرتها المعتادة، ثم تنهدت وأطرقت برأسها مجددا، ليقول أحدهم لرفيقه همسا:

- أراها قد أطرقت برأسها مجددا، فهل تراها ستتصرف كما في المرة الأولى، ولن تجيب على تساؤلات القاضي؟

فأجاب الرفيق بالقول:

- ربما، لكن ما لا تعرفه أنت هو أنّ زوجة أبيها كانت الشبهات تحوم حول سلوكها مع أحد الجيران، وحين انتحر والد دلال، قيل بأنه لم ينتحر، بل زوجته وجاره من قاما بقتله، بعدما ضبطهما في وضعية مخلة بالآداب، وهما من ألقياه من الشرفة، وليس هو من ألقى بنفسه، فهل تراها اكتشفت أن ذلك الأمر صحيح، لذلك انتقمت لأبيها بإلقاء زوجته من نفس الشرفة التي ألقي منها، ثم قامت بعدها بقتل أولادها، لأنهم ليسوا أولاد أبيها؟

وهنا لاحظ الجميع سقوط دموع من عيني دلال، فقال المتحدث لرفيقه:

- أترى، إنها تبكي، فهل تراها سمعت ما قلته لذلك تأثرت، وبكت، لأن ما قلته هو الحقيقة؟

لكن الرفيق شكك في كلامه، وقال:

- ربما سمعت كلامك، لكنها بكت فقط لتذكرها والدها، وليس لشيء آخر، أو ربما ندمها على ما اقترفته يداها هو سبب بكائها، وكل ما أفكر فيه أنا الآن، هو سبب صمتها ذاك، أم تراها كما قال أحدهم، تريد أن تموت، أي تريد أن تنتحر لكن بالقانون؟

وبمجرد انتهائه من كلامه ذاك، قامت امرأة كانت تجلس خلفه -واضح من لباسها الالتزام بالدين- وقالت موجهة كلامها لدلال:

- يا دلال، إن الانتحار مهما كانت طريقته حرام، فدافعي عن نفسك، ولا تلقي بنفسك إلى التهلكة، هيّا افعليها ولا تبق صامتة.

وبانزعاج، ضرب القاضي مطرقته بقوة على الطاولة، طالبا من المرأة التزام الصمت، أو الخروج من القاعة، ليسود الصمت بعدها، والجميع ينظر إلى دلال بحيرة، وترقب، فإذا بأحدهم يهمس في أذن آخر قائلا له:

- والله إن أمرها لمحير، أم تراها من عبدة الشيطان، وما قامت به يدخل في إطار طقس تعبدي له؟

هنا تنهدت دلال، ومسحت عينيها، ثم قالت -وهي تنظر إلى القاضي-:

- مهما قلت عن سبب، أو أسباب ما فعلته، فستحكم عليّ بالإعدام، لأنني لا أملك أي دليل على صحة ما سأقوله، لذلك أفضّل الاحتفاظ بتفاصيل ما فعلته لنفسي، فأصدر حكمك أيها القاضي، ونهي الأمر، ولا تنتظر مني، أن أقول أكثر ممّا قلته.

وكما كان متوقعا، فقد أصدر القاضي الحكم بإعدامها، ليبقى الناس -وإلى يومنا هذا- يجهلون سبب ما فعلته وكل واحد منهم وما تجود به قريحته من تفاسير لما جرى.

العبرة من القصة:

رغم ما يمكن أن يفهمه الناس من ظاهر الأحداث، إلّا أن الحقيقة دائما لا يعرفها كما هي إلّا الله سبحانه وتعالى.

أنا وزوجة أبي

كان يمشي في الطريق وهو يبكي بحرقة، ويقول في نفسه

- لو كانت أمي حية، لكانت عاملتني كما تعامل زوجة أبي ابنها كريم، ولكانت ساوت بيننا في كل شيء.

وبينما هو على ذاك الحال، إذا بعمه يوقف سيارته بجانبه، ويسأله عن سبب بكائه، لكن أسامة لم يقل شيئا خوفا من أبيه الذي يقول له دائما بأن ما يحدث في البيت، ينبغي أن لا يعلم به أحد من خارجه مهما كان، وكي لا يلح عليه عمه في السؤال أكثر، فقد قال له بأنه مشتاق لأمه لذلك كان يبكي، ولأن عمه أراد التخفيف عنه، فقد قرر أخذه معه إلى بيته، كي يلعب ويتسلى مع ابنيه لبضعة أيام، وبعد الاتصال بأب أسامة وإعلامه بالأمر، أخذ العم أسامة معه إلى بيته، وبعد أن لعب قليلا مع ابنيه فريد، وأمين، نادت عليهم زوجة العم من أجل تناول وجبة العشاء، وأثناء فعلهم ذلك طلب فريد وأمين المزيد من المشروب الغازي، لكن أمهما لبت طلب أمين فقط ولم تلب طلب فريد، ما جعله ينزعج، الأمر الذي لا حظه أسامة وجعله يستغرب من سلوك زوجة عمه، التي اعتقدها تعدل بين ابنيها، فإذا بها تتصرف كما تتصرف زوجة أبيه معه ومع أخيه كريم، وأثناء مشاهدته التلفاز مع ابني عمه، طلبت منهم زوجة العم الذهاب إلى النوم، لكن فريدا طلب منها السماح له بمشاهدة التلفاز لوقت أكثر، ونفس الأمر طلبه أمين، لكن أمهما لبت طلب أمين، ورفضت تلبية طلب فريد، وطلبت منه التوجه إلى النوم فورا، وهو الأمر الذي خضع له فريد بانزعاج، وأسامة يراقب ما يحدث، ويتساءل عن سبب عدم عدل زوجة عمه بين ابنيها، وما إذا كانت أمه أيضا ستتصرف معه بنفس الطريقة لو كانت حية أم لا، وبينما هو نائم مع ابني عمه في غرفة نومهما، استيقظ أمين وشرع في البكاء، وعندما جاءت إليه أمه، طلب منها أن تحضر له حليبا كي يرضعه، وأن تأخذه معها كي ينام معها ومع والده، الأمر الذي استجابت له أمه، وجعل أسامة يتساءل عما إن كانت زوجة عمه ستتصرف بنفس الطريقة مع فريد، لو أنه من طلب النوم معها ومع أبيه، وعندما طلع النهار، وسأل فريدا عما إن كانت أمه تسمح له بالنوم معها أم لا، أجابه بالسلب، وبأنها ومن كثرة رفضها لطلبه، يئس من الأمر، ولم يعد يطلب منها ذلك، ما جعل أسامة يعتقد أن أمينا فقط من يكون ابن زوجة عمه، أما فريد فأمه امرأة أخرى، لذلك لا تعدل زوجة عمه بينهما، ولأن الفضول تملكه لمعرفة الحقيقة، فقد قرر سؤال زوجة عمه عن الأمر، لكنه لم يجد الفرصة المناسبة لفعل ذلك، لأن فريدا يلازمه بشكل دائم، وهو لم يرد أن يجرح مشاعره، إن اتضح أن زوجة عمه ليست أمه، خاصة أن فريدا دائما يناديها بيا أمي، لذلك تكتم على الأمر، وقرر بدل سؤال زوجة عمه عما يخالجه من شكوك، أن يسأل عمه عما إن كان قد تزوج أكثر من مرة كما فعل والده أم لا، لكن عمه قال له بأنه لم يتزوج سوى مرة واحدة ومن المرأة التي يعرفها، أما أبوه فقد تزوج مرتين لأن زوجته الأولى توفيت، لذلك كان عليه الزواج مرة أخرى كي يحظى بمن تعتني به وبأسامة، وتنجب له المزيد من الأولاد، كي يكونوا عونا له عندما يكبرون، ما جعل أسامة يعتقد أن فريدا ليس ابن عمه، بل ولد تم تبنيه من أحد المراكز، لذلك لا تعدل زوجة عمه بينه وبين أمين الذي هو ولدها من صلبها، ثم قال في نفسه

- لا يمكن للذي أفكر فيه أن يكون صحيحا، ذلك أن فريدا يشبه عمي كثيرا، لذلك فهو ابنه حتما.

وعندما ذهب إلى المدرسة مع فريد، سأله عما إن كان راضيا عن سلوك والديه معه أم لا، فأجابه فريد بأنه غير راض تماما، لكن هذا حال الآباء مع أبنائهم، إذ أحيانا يلبون طلباتهم، وأحيانا لا يفعلون ذلك، وحين عودتهما إلى المنزل طلبت منه أمه الذهاب لشراء الخبز، فإذا بأمين يعرض عليها القيام بالأمر

بدلا عن أخيه، لكن أمهما رفضت ذلك، وطلبت من فريد إحضاره رغم انزعاجه من الأمر، وبعدها طلبت منه قصه ووضعه في سلة على الطاولة، وأسامة يلاحظ ما يجري، ويقول في نفسه

- أمين لا يقوم بشيء غير اللعب، بينما فريد المسكين عليه مساعدتها حتى إن لم يعجبه الأمر، فلماذا تتصرف معه هكذا؟

وبعد الغداء ولأن فريدا وأسامة لن يدرسا في المدرسة مساء ذاك اليوم، فقد طلب فريد من أمه السماح له بالخروج من المنزل، واللعب قليلا مع أبناء الجيران، ولو لوقت قصير، لكن أمه رفضت الأمر، وطلبت منه مراجعة دروسه، فذلك أفضل له، لكن عندما طلب منها أمين الذهاب إلى بيت أحد الجيران كي يلعب مع أبنائه، سمحت له بذلك، وأسامة يلاحظ ما يحدث دون أن ينطق ببنت شفة، وبينما هو على ذاك الحال، إذ بأمين يطلب من أمه إلباسه اللباس الجديد الذي اشتراه له والده، فلبت طلبه، لكنها في نفس الوقت رفضت تلبية طلب فريد عندما طلب نفس الشيء، وقالت له بأنها لن تسمح له بارتداء ثيابه الجديدة إلا في العيد، الأمر الذي جعل أسامة يتساءل عن مدى كون الأمهات أيضا يتصرفن كزوجات الآباء، ولا يعدلن بين أولادهن، وبينما هو يفكر في الأمر، إذ بفريد يشكو من ألم في بطنه، فسارعت أمه لتحضير مشروب النعناع له، بعد أن سألته عن ما إن تناول شيئا ما خارج البيت أم لا، وبما أن ألم فريد كان يزداد بمرور الوقت، فقد أخذته أمه إلى الطبيب مع أسامة، وأخبرها الطبيب أن ابنها مصاب بألم في الطحال، وينبغي إجراء عملية بسرعة له، الأمر الذي جعلها تتصل بسرعة بزوجها طالبة منه إحضار المال اللازم لذلك، والذهاب إلى المستشفى من أجل إجراء العملية لفريد، وأثناء إجراء العملية، لاحظ أسامة قلق زوجة عمه على فريد، لدرجة ذرفت فيها الدموع عليه، ما جعله يقول في نفسه بأنها أصبحت تتصرف كأم حنون، فلماذا كانت تتصرف معه بقسوة سابقا؟ وبعد أن بشرهم الطبيب بنجاح العملية، غادروا المستشفى فارحين، وتاركين فريدا فيه إلى أن تتحسن حالته، ولأن فريدا لم يعد في البيت فقد قرر أسامة سؤال زوجة عمه عن سبب تلك المعاملة التي كانت تعامله بها منذ مجيئه إلى بيتها، لكن إحضار الجارة لأمين من بيتها، وبقائها لتناول أطراف الحديث مع أمه، جعله يتراجع عن الأمر، كما أن مجيء حماة عمه بعدها وانشغال ابنتها معها، جعله يؤجل أمر مفاتحتها في الموضوع، وبعد خروج فريد من المستشفى، لا حظ أسامة أن زوجة عمه تعامله بمنتهى اللطف، وتلبي كل طلباته، بما في ذلك مشاهدة ما يرغب في مشاهدته في التلفاز- حتى إن رغب أمين في مشاهدة شيء آخر- والسهر ليلا، وتناول ما يرغب في تناوله، إلا ما أوصى الطبيب بتجنبه، وحتى دروسه أصبحت هي من تراجعها معه بكل لطف وحنان، وهو الأمر الذي لم يسبق لأسامة أن لا حظه، وبمجرد أن رآها متفرغة في المطبخ، وتشرب القهوة، ذهب إليها وسألها عن سر تغيير معاملتها لفريد، ولماذا كانت تقسو عليه سابقا، فاستغربت زوجة العم، وقالت

- أنا أصبحت أعامل فريدا بشكل أفضل! ومتى كنت أعامله بشكل سيء؟
- أسامة: منذ مجيئي إلى بيتكم وأنا ألاحظ ذلك، وألاحظ أيضا تفضيلك أمينا عليه، وكمثال على ذلك رفضك منح المزيد من المشروب الغازي لفريد، بينما فعلت العكس مع أمين
- زوجة العم: فعلت ذلك لأن فريدا أكثر من شرب المشروب الغازي طوال النهار وهو كما تعلم مشروب ضار، لكن أمين لم يذق منه ولو قطرة واحدة.
- أسامة: فلماذا سمحت لأمين بمشاهدة التلفاز ليلا، بينما منعت فريدا من ذلك؟
- زوجة العم: فعلت ذلك لأن أمينا لا يدرس في المدرسة بعد لصغر سنه، لكن فريدا عليه الاستيقاظ باكرا كي يذهب إلى المدرسة، لذلك عليه عدم السهر إلى وقت متأخر ليلا.
- أسامة: فماذا عن رفضك أن ينام في غرفتك بينما أمين سمحت له بذلك؟

- زوجة العم: عندما كان فريد صغيرا كنت أسمح له بالنوم معي ومع والده، لكنه الآن أصبح كبيرا وعليه أن يعتاد على النوم لوحده، كما أن السرير لا يسع أربعة أشخاص، أضف لهذا أن أمينا كان سيقضي الليل بطوله وهو يبكي لو لم ألب طلبه، وهذا الأمر ليس فيه خير لا له، ولا لفريد الذي سيمنعه بكاء أخيه من النوم، ولا لي لأن قلب الأم لا يطاوعها أن تترك ابنها يبكي طوال الليل.
- أسامة: فماذا عن رفضك ذهاب أمين لشراء الخبز، وطلبك من فريد فعل ذلك، رغم انزعاجه من الأمر؟
- زوجة العم: ذلك راجع لكون أمين يحب اللعب مع الأطفال في الشارع، لذلك كان سيتأخر في العودة إلى البيت، رغم قرب المخبزة من بيتنا، كما أن صغر سنه يجعلني أخاف عليه أكثر من فريد، لأنه أقل وعيا بالمخاطر التي قد تواجهه في الشارع، بينما فريد عكسه تماما.
- أسامة: فلماذا سمحت بعدها لأمين بأن يذهب إلى بيت الجار كي يلعب مع أبنائه، لكنك رفضت السماح لفريد بفعل نفس الشيء، خاصة أنه قال لك بأنه لن يلعب مع الأولاد إلا لوقت قصير.
- زوجة العم: فعلت ذلك لأن فريدا لا يلتزم بكلامه، ولو سمحت له بالخروج كي يلعب مع أقرانه، لكان بقي لمدة طويلة في الشارع، وهذا الأمر سبق وفعله كثيرا، وأنا أريده أن يعود بسرعة كي يراجع دروسه، ولا يهملها.
- أسامة: فماذا عن ثوبه الجديد الذي منعته من ارتدائه، بينما سمحت لأمين بأن يفعل العكس؟
- زوجة العم: أمين يملك أكثر من ثوب جديد، لذلك سمحت له بارتداء إحداها، لكن فريدا لا يملك غير ثوب جديد واحد، وأنا خشيت ألا يملك والده ما يشتري له به ثوبا جديدا في العيد، لذلك أردته أن يبقيه جديدا إلى ذاك اليوم.
- أسامة: لكنك الآن مثلا تسمحين له بمشاهدة التلفاز لوقت متأخر من الليل، فهل لم يعد هذا الأمر يضر به، وبدراسته؟
- زوجة العم: أنا أسمح له بالسهر لمشاهدة التلفاز لأنه وبسبب مرضه، لم يعد واجبا عليه الاستيقاظ باكرا كي يذهب إلى المدرسة، كما أن إحساس المريض بالراحة النفسية التامة، أمر يجعله يشفى بسرعة، وهذا ما أحاول توفيره له من خلال تلبية كل طلباته، إلا ما قد يضر به، فهل فهمت يا أسامة.
- أسامة: نعم لقد فهمت يا زوجة عمي.

وبعد كل ما سمعه من زوجة عمه، أصبح أسامة يفكر فيما قالته، ويقارنه بسلوك زوجة أبيه معه، ويقول في نفسه بأن زوجة أبيه تتصرف بما يلائمه هو وأخوه، وليس لأن كريما ابنها، بينما هو ابن زوجها، وبالتالي فحتى لو كانت أمه حية، ما كانت لتعامله نفس المعاملة التي تعامل بها أخاه الصغير، وعندما حضر والده مع زوجته وكريم كي يأخذوه معهم إلى البيت، فرح بذلك كثيرا، وعاد معهم إلى بيته وهو مقتنع بأن من يحرمه من شيء، لا يعني بالضرورة أنه يكرهه، أو يفضل من لا يحرمه من ذلك الشيء عليه، لذلك تغيرت نظرته لزوجة أبيه، وأصبح سعيدا في حياته أكثر مما كان عليه سابقا.

سر التابوت

اعتاد الناس على عدم رؤية الأخوين ايمن وأمين يوم الجمعة في المدينة، لأنهما يقضيان ذاك اليوم في القرية التي يقطنها والدهما، لكن بعد وفاته أصبحا لا يذهبان إليها إلا فيما ندر، إلى أن جاء ذلك اليوم الذي رآهما فيه سكان المدينة وهما يحملان تابوتا، ويطوفان به في المدينة، ويرددان عبارات كثيرة، مثل: لا إله إلا الله ولا يبقى إلا الله، وإنا لله وإنا إليه راجعون، وكلنا سنحمل يوما في تابوت كهذا...إلخ، وكلما سألهما أحد ممن يعرفهما عن هوية المتوفي، قالا له بأنه لا وجود لميت في التابوت، وبأن ما

يفعلانه وراءه سر لن يكشفوه لأحد، الأمر الذي حير كل من سمع منهم ذاك الكلام، وعندما مرا من أمام مقهى خالهما وهما على تلك الحال، فزع واعتقد أن أحد أفراد عائلتهم قد مات، وهو المحمول في التابوت، فأسرع إلى الأخوين، وسألهما عن هوية المتوفي، فأخبراه بما أخبرا به بقية الناس، فاشتاظ غيظا وقال لهما

- أتسببتما لي في ارتفاع الضغط، والسكر، كي تقولا لي في النهاية بأن الأمر يتعلق بسر لن تقولاه لأحد! ثم إن كلامي موجه إليك بشكل خاص يا أيمن، لأن بكاءك وأنت تردد ما كنت تقوله مع أخيك، أمر غير طبيعي، فما هو هذا السر الذي جعلك في هذه الحالة؟
- أيمن: أعذرني يا خال، لكن ما نحن عليه لم نسمه سرا، إلا لأنه لا يقال.

ثم واصلا سيرهما وهما يرددان العبارات السابقة الذكر، وخالهما ينظر إليهما بانزعاج وحيرة، محاولا فهم ما يحدث دون جدوى، وعندما رآهما صديقهما محمد، قام بما قام به الآخرون من سؤالهما عن هوية المتوفي، لكنهما أجاباه بالجواب المعتاد، الأمر الذي حيره وجعله يلح عليهما أن يخبراه بما يخفيانه، لكن من دون جدوى، الأمر الذي جعله يفكر مليا في ما هية السر الذي يخفيانه، ثم لحق بهما وقال لهما

- لقد كشفت سركما، فكم ستدفعان لي كي أكتمه عن الناس ها؟

فاستغرب الأخوان كلامه، وطلبا منه قول ما يعرفه، فقال لهما

- أنتما تمثلان في برنامج للكاميرا الخفية، أليس كذلك؟
- أيمن: طبعا لا يا فهيم.
- محمد: إذا تمثلان في فيلم.
- أمين: وهذه أيضا ليست الحقيقة.
- محمد: إذا ففي الأمر مقلب تحاولان من خلاله إثارة حيرة من يعرفكما، كي تضحكا عليه في النهاية. أليس كذلك؟
- أمين: وهل بربك نحن وقحون لدرجة نجعل فيها طقوس الموت، وسيلة للتسلية.
- محمد: فما السر وراء ما تفعلانه إذا؟
- أيمن: قلنا لك بأننا لن نخبرك بشيء، لذلك إما أن تتركنا وشأننا، وإما أن تنضم إلينا وتقوم بما نقوم به، دون أن تحاول معرفة سبب ما نقوم به، لأننا لن نخبرك بشيء.
- محمد: الانضمام إليكما فكرة جيدة، لكن أمن العدل أن يعلم اثنان من الفرقة سبب ما يفعلانه، ولا يعلم العضو الثالث بذلك!...إن أردتما أن أنضم إليكما، فعليكما إخباري بحقيقة الأمر أولا.
- أمين: لا، لن نفعل، ولا نريد انضمامك إلينا بشروط.

ثم واصل الأخوان سيرهما، ومحمد يقول لهما

- لا تفسير لما تفعلانه غير ما سبق وقلته، لذلك وانتقاما منكما سأفضحكما في كل المدينة.
- أمين: افعل ذلك، لكن قبلها عليك إيجاد فرقة العمل، من مصورين، وملتقطي صوت، وغيرهم كي يصدق الناس قولك بأننا نمثل.

وهنا نظر محمد حوله ليرى إن كان هناك فرقة تصوير أم لا، ثم قال بأعلى صوته وقد ابتعد صديقاه عنه

- إذا أنتما تتدربان الآن، ولاحقا سيتم تصوير ما تتدربان عليه.
- أمين: افهم الأمر كما تشاء، لكننا كل يوم جمعة سنقوم بما نقوم به اليوم، فهل سنمضي حياتنا كلها في التدرب على نفس المشاهد يا ذكي؟

وهنا قال محمد باستغراب

- طوال حياتهما سيفعلان ما يفعلانه اليوم!...أهو صادق أم أنها مجرد مزحة؟

ولأنه شخص جد فضولي، فقد ظل يفكر في ما هية السر الذي يخفيه صديقاه، وبينما هو يشاهد شريطا وثائقيا عن إحدى جرائم القتل، خطر له أن صديقاه ربما يكونان متورطان في قتل أحدهم، وهو الذي توجد جثته في الصندوق، وقالا للناس بأنه لا وجود لمتوف في التابوت، كي لا يكشف أمرهما، وبمجرد أن خطر له هذا الأمر، خرج مسرعا ليبحث عنهما في أرجاء المدينة، ولم يمض الكثير من الوقت حتى رآهما وهما يقومان بما فارقهما عليه، فأسرع إليهما وقال لهما بصوت خافت

- أخبراني بسرعة من قتلتما؟

فتبادل الأخوان النظرات المستغربة مما سمعاه، ثم قال أيمن

- عما تتحدث يا محمد؟
- محمد: أتحدث عن القتيل الذي تحملانه في التابوت، وتخفون أمره بهذه المسرحية التي تمثلانها ببراعة، كي لا يكتشف أمركما. لذلك، إما أن تقولا لي الحقيقة، وإما سأتصل بالشرطة لإخبارها عن سركما.

فقال أيمن لأمين

- لقد أصبح صديقنا العزيز يهذي، لذلك هيا لنواصل عملنا.
- محمد: أقسم بالله العلي العظيم، أنكما إن لم تخبراني بالحقيقة فسأبلغ الشرطة عنكما، وأنتما تعلمان جيدا أني لا أقسم كذبا أبدا.

فنظر أيمن وأمين لبعضهما ثم قال أمين

- وأنا أيضا تعلم أني لا أقسم كذبا، لذلك أقسم بالله العلي العظيم أن هذا التابوت فارغ، ولولا عدم رغبتي في إزعاج الشرطة لما فتحته لك أبدا.

ثم وضع الأخوان التابوت على الأرض وفتحاه، فلم يرى فيه محمد شيئا، وهنا قال أيمن

- لقد رأيت ما يحويه التابوت، فهلا غربت عن وجهينا الآن.

ثم أغلق التابوت وحمله مع أخيه، وانطلقا به بعيدا عن المكان، وهما يرددان عباراتهما المعتادة، في حين ظل محمد واقفا في مكانه وهو يفكر، ثم قال في نفسه

- طالما لا قتيل في التابوت، فربما دفناه، ثم عادا ليواصلا مسرحيتهما التي بها يخفيان أمرهما، أو ربما هما يخفيان الجثة في مكان ما، وهما الآن ذاهبان لإحضارها، لكن مع هذه الطقوس الغريبة كي لا يكتشف أمرهما، لذلك سأنضم إليهما وأرى ما الذي سيفعلانه.

وانطلق بسرعة خلف صديقيه، وعندما وصل إليهما قال لهما بأنه قرر الانضمام إليهما، كي يكسب أجر ذكر الله لا أكثر. وشرع في ترديد ما يردده صديقاه من عبارات، وعندما أذن المؤذن لصلاة العصر، قال أمين

- هذا يكفي اليوم، وعلينا إعادة التابوت إلى المنزل بعد أن نصلي صلاة العصر في المسجد.

فقال له محمد بأنه تشاجر مع والده، وبسبب ذلك لا يريد العودة إلى بيته بعد الصلاة، لذلك سيذهب معه ومع أخيه إلى بيتهما، لأنه لا مكان آخر يمكنه الذهاب إليه، فوافق الأخوان على ذلك، الأمر الذي فرح به محمد وجعله يقول في نفسه

- لم أتشاجر مع أبي، لكني أعتقد أنكما دفنتما القتيل وانتهى الأمر، لذلك التابوت فارغ، ولذلك سأذهب معكما إلى البيت كي أبحث عن أي شيء يؤكد لي شكوكي. وعندما ذهبوا إلى البيت قال أمين بأنه متعب لذلك سيرتاح في غرفته، ونفس الكلام قاله أيمن، ليظل محمد لوحده في الصالون، وطبعا الأخوان معتادان على ترك محمد يتصرف بحرية في البيت لأنه صديقهما المقرب، لذلك لم يحسا بالإحراج من تركه لوحده، فقام محمد باستغلال الفرصة وفتش كامل البيت، عدى غرفتي الأخوين، لكن دون أن يجد ما يروي غليله، لذلك عندما خرج أمين من غرفته ودخل إلى الحمام كي يستحم، دخل هو غرفته وفتشها دون جدوى، ونفس الأمر حدث معه عندما غادر أيمن البيت متجها إلى المقهى، لذلك استسلم للأمر الواقع وقال في نفسه
- لو قتل أيمن وأمين أحدهم، لما طلبا مني الانضمام إليهما عندما التقيتهما أول مرة اليوم، وهما يطوفان بالتابوت في أرجاء المدينة، لذلك عليّ تصديق ما قالاه، لكن ما هو السر وراء ما يفعلانه، ولا يريدان إخباري به يا ترى؟

ثم فكر قليلا وقال

- أم أنهما قتلا أحدهم فعلا، لكن ليس في هذا البيت، بل في مكان آخر، لذلك لم أجد أي دليل يدينهما هنا!

ولأنه عجز عن إيجاد إجابة مقنعة عن تساؤلاته، وفقد الأمل في أن يخبره صديقاه عن السر وراء ما يفعلانه، فقد قرر الذهاب إلى المقهى ليتسلى قليلا، ويبعد عن نفسه التفكير في التابوت وفي صديقيه وما يفعلانه، لكنه وبمجرد أن اقترب من باب الشقة كي يخرج منه، فاجأه طرق قوي على الباب، مصحوب بصوت عال يقول

- افتح الباب يا قاتل، افتح الباب يا قاتل.

فتسمر محمد في مكانه، وهو يقول في نفسه

- يا إلهي، إذا في الأمر جريمة قتل فعلا كما اعتقدت.

فإذا بأمين يخرج من الحمام ويقول له

- ما الذي يجري، وما ذاك الطرق القوي الذي سمعته على الباب؟
- محمد: لقد كشف أمرك، وأمر أخيك فكيف ستتصرف الآن؟
- أيمن: بماذا تهذي يا هذا؟

ثم اتجه نحو الباب وقام بفتحه، فإذا بالطارق يضحك ويقول

- أخيرا فتحت الباب يا قاتل الضفادع.

ثم تعانق مع أيمن ودخل إلى الشقة وهو ينظر إلى محمد ويقول

- من يكون هذا الرجل؟

وبعد تعارفهما سأله محمد عن سبب مناداته لأمين بقاتل الضفادع، فأخبره أنه في صغره، كان يحب البحث عن الضفادع وقتلها، لذلك أطلق عليه ذلك الاسم، ففهم محمد الأمر وغادر الشقة متجها إلى المقهى، وفي الجمعة الموالية عندما رأى صديقاه يقومان بنفس الأمر، عاودته نفس التساؤلات السابقة، لكن دون أن يجد لها جوابا، وبينما الأخوان يسيران في المدينة، حاملان للتابوت، ومرددان للعبارات التي ألف سكان المدينة سماعها منهما، إذا بأفراد من رجال الشرطة يعترضون طريقهما، ويطلبان منهما فتح التابوت لمعرفة ما يحويه، لأن بلاغا وصلهم مفاده أنهما ينقلان المخدرات فيه، متظاهرين بالخشوع والتقوى، ففتح الأخوان التابوت الفارغ ليثبتا للشرطة أن البلاغ الذي وصلهما هو بلاغ كاذب، لكن رجال الشرطة لم يصدقاهما، وقال لهما أحدهم بأنهما ربما نقلا المخدرات لمكان آخر، وانتهى الأمر. ولأنه مع الشرطة لا بد من قول الحقيقة، فقد قال لهم أمين بعدما سألوه عن سبب ما يفعلونه، بأن والده قد توفي دون سابق مرض، لذلك فقد أثر فيه موته كثيرا، وفي أخيه أيضا، خاصة أنهما أهملا والدهما قليلا قبل وفاته، بسبب انشغالهما بأمور الحياة، لذلك وكي يتذكر الناس الموت، ويهتموا بأحبتهم، ويتذكروا الآخرة أكثر، فقد قررا حمل التابوت كل يوم جمعة، والطواف به في المدينة، لعل ذلك يحقق غايتهما، وعندما سأله الشرطي عن سبب عدم قوله ذاك الكلام للناس، وإخفائهما الأمر عنهم، بكى أيمن وقال

- هذا العمل يا سيدي نقوم به كصدقة على روح والدنا، ولأن الله يحب عمل الخير في السر أكثر مما يحبه في العلن، لأنه أكثر إخلاصا، لذلك قررنا إخفاء دوافعنا عن الناس، ولولا أن الواجب يقتضي منا قول الحقيقة لكم، لكنا أخفينا الأمر عنكم أنتم أيضا.

وبينما كان أيمن وأمين يتحدثان إلى رجال الشرطة، كان محمد -الذي أبلغ الشرطة عما يفعلانه- على بعد منهما يصغي خفية لما يقال، كي يروي فضوله، ومسألة نقل الأخوين للمخدرات في التابوت، كانت مجرد كذبة أراد من خلالها الوصول لمراده، وعندما علم بالحقيقة أشفق على صديقيه، وزاد احترامه لهما، لذلك قرر الانضمام إليهما كل يوم جمعة، ليعمل ثلاثتهم على تذكير الناس بالموت، لعل الذكرى تنفع المؤمنين.

العبرة من القصة: من الفضول ما قتل، فاحذر أن تؤذي نفسك أو غيرك بسبب فضولك.

ما الذي يسقط من السماء؟

كان أمير واقفا في الشرفة، يتأمل السماء المكتظة بالغيوم، ثم باستغراب وبأعلى صوته قال

- يا إلهي، ما هذا؟

وواصل نظره إلى السماء باستغراب قليلا، ثم أضاف

- لقد خرجت من السحاب، وهي تتجه الآن نحو الأرض.

ما جعل المارة في الشارع يتوقفون عن السير، وينظرون إليه وإلى السماء، فإذا به يقول

- لا أحد يمكنه التنبؤ بالمكان الذي ستنزل فيه، كما أنه لا أحد يمكنه القول بأنها ستظل في مكانها الذي تتواجد فيه الآن، ولن تسقط على الأرض.

الأمر الذي جعل المارة يواصلون النظر إلى حيث ينظر أمير، ويتساءلون عما يتحدث، لأنهم لم يكونوا يرون شيئا.

لكن أمير واصل كلامه قائلا

- ما أراه ليس من صنع البشر، فهذا أمر جد واضح، ولا يقول غير هذا الكلام إلا شخص غير بصير.

فسأل أحد المارة صاحبه قائلا

- عما يتحدث هذا الرجل، فأنا لا أرى شيئا.

فأجابه صاحبه بأنه هو أيضا لا يرى شيئا، وبأنه يعتقد أن أميرا يرى صحنا طائرا، رغم عدم تمكنهما من رؤيته.

فإذا بأمير يواصل كلامه قائلا

- يا إلهي إنها تقترب من إحدى مثيلاتها...إنها تقترب منها أكثر...لقد أصبحت قريبة منها جدا، فماذا سيحدث؟

وهنا قال أحد المارة لصاحبه

- إنه يتحدث عن الذي يراه بصيغة الأنثى، أي أنه لا يتحدث عن صحن طائر، فما هو هذا الشيء الذي يراه يا ترى؟

فقال له صاحبه

- ربما يتحدث عن إحدى الجنيات التي يراها هو، ولا نراها نحن، فرؤية الجن قد تتحقق للبعض دون البعض الآخر من الناس.

فإذا بأمير يقول وهو على حالته السابقة

- رغم اقترابهما جدا من بعضهما، إلا أنهما الآن تنزلان في خطين متوازيين، فماذا سيحدث يا ترى؟ هل ستواصلان النزول هكذا، أم أنهما ستندمجان، أم ستبتعدان عن بعضهما؟...أنا أتابع الأمر، ولا أستطيع الجزم بما سيحدث، ونفس الأمر مع أي شخص آخر يمكنه أن يرى ما أراه سواء كان من الجن أم من الإنس، فماذا سيحدث يا ترى، ماذا سيحدث؟...لا زالتا على حالهما، وهما في غاية الرقة، والشفافية، ورغم أننا لا نستطيع الجزم بما سيحدث لهما وهما في السماء، إلا أن تحطمهما على الأرض أمر لن يختلف فيه اثنان.

وهنا قال الرجل الذي ظن بأن الأمر يتعلق بالجن

- ما قاله الرجل يعني أني كنت على خطأ، فعن ماذا يتحدث يا ترى، وما الذي رآه ولم نستطع نحن رؤيته إلى الآن؟

فقال له صاحبه بأنه سيناديه ويسأله عما يراه، ثم توجه بناظريه إلى أمير وقال له

- يا رجل...يا رجل، من فضلك أخبرنا بالذي تراه يسقط من السماء هيا.

لكن أمير لم يرد عليه، وواصل النظر إلى السماء وهو يقول

- هيا أيها الناس، انظروا إلى السماء، لتروا ما أراه، فلا يمكن إلا لأعمى عدم رؤية ما أراه، والسؤال الذي لم أجد الإجابة عنه إلى الآن هو: ماذا سيحدث؟ وإلى متى هذا النزول بشكل متواز؟ أم قدرهما هو أن لا يندمجا في السماء، كي يندمج حطامهما على الأرض؟

وهنا نظر الرجلان لبعضهما باستغراب، ثم قال أحدهما للآخر

- إنه ولا شك رجل مجنون، فلا شيء يسقط من السماء.

فإذا بأمير يقول

- إنهما تمران من أمامي الآن، مواصلتين طريقهما إلى مصيرهما المحتوم، إنهما تتجهان نحو الأرض...إنهما تتجهان نحو الأرض.

وهنا قال الرجل لصاحبه

- معك حق، فلا يقول ما يقوله ذاك الرجل، إلا من به جنون، لأني لم أرى شيئا يمر من أمامه.

فرد عليه الرجل الآخر قائلا

- طالما ما يتوهمه ذاك المسكين ساقطا من السماء قد قرب وصوله إلى الأرض كما قال، فلننتظر ونرى ما الذي سيحدث.

وبذلك طغى الترقب على المارة الحاضرين هناك، وهم ينظرون إلى حيث ينظر أمير، الذي سكت قليلا ثم قال وهو ينظر إلى الأرض

- ستتحطمان حتما، ستتحطمان حتما، ستتحطمان حتما، أوه...لقد تحطمتا فعلا على الطريق.

والمارة ينظرون إلى حيث ينظر دون أن يتمكنوا من رؤية شيء، فإذا بأحد جيران أمير المطل من نافذة بيته يقول

- يا رجل، ما الذي تحطم على الطريق، فأنا لا أرى شيئا؟

لكن أمير لم يرد عليه وقال وهو ينظر إلى السماء

- أنظروا إلى السماء، فأنا كنت مركزا على واحدة في البداية، ثم على اثنتين، لكن الآن عددها يفوق بكثير عدد الصحون الطائرة، في فيلم هجوم مارس، إنه الهجوم الصغير الشفاف، فهذا أحسن وصف أصفها به، والسؤال الآن هل ستستمر هكذا أم أن قوتها ستزداد مع مرور الوقت؟ هل ستستمر هكذا أم أن قوتها ستزداد مع مرور الوقت؟ إنها تنزل وتنزل وتنزل، فيا إلهي، لا تزد في حجمها وقوتها لأنها حينها لن تتحطم على الأرض فقط، بل ستتحطم ويتحطم معها الكثير من الأشياء أيضا.

ورغم أن العديد من الجيران قد أطلوا من نوافذ وشرفات منازلهم ليروا عما يتحدث، وكذلك وقف الكثير من المارة في الطريق لنفس السبب، إلا أن أميرا لم يبال بهم، وواصل صراخه معلقا على ما يراه قائلا

- نزولها المستمر يتواصل الآن، لكن متى سيتوقف ذلك فلا أحد يعلم، وهل ستضرنا أم ستنفعنا، فأيضا لا أحد يعلم، والآن أنا لا أركز على اثنتين تقتربان من بعضهما، بل أركز على مجموعات تتساقط وتلحق بها أخرى وأخرى...أيها الهجوم الشفاف، أرجوك ارحمنا ولا تؤذنا، أرجوك ارحمنا ولا تؤذنا.

مواصلا كلامه عما يراه، وكلما اقترب أحد من ذلك المكان وسمع ما يقوله أمير، نظر إلى السماء لكن دون أن يرى ما يصفه أمير، وبعد ذلك، من المارة من يبقى يترقب ما سيحدث، ومنهم من يغادر المكان بحيرة، لأنه لا أحد فهم ما يحدث هناك، وحتى أمير لا يرد على أحد عندما يسأله عما يراه، إذ كان يتجاهل الجميع دوما، ما دفع بأحد جيرانه المتواجدين في الشارع إلى القول بأن أميرا من عائلة لم تسكن ذاك الحي إلا ذاك اليوم، وبأنه سيتجه إلى شقتهم ليعرف منهم ما إن كان أمير مجنونا، أم أنه من النوع

الذي يريه الله بعض ما سيحدث في المستقبل، لأن هناك أشخاص منحهم الله هذه القدرة، ومن حين لآخر يحسون أو يرون ما سيحدث في المستقبل، سواء رأي العين أو في أحلامهم، ولأن الفضول قد تملك الجميع فقد طلبوا منه العودة إليهم بسرعة، ليخبرهم بما سيعرفه، فوافق على الأمر واتجه إلى شقة أمير الذي واصل ما كان يقوم به، غير آبه بأحد، وكأنه يعلق على مباراة رياضية بحماس قائلا

- إنها تقترب مني وستتحطم على جسدي.

ما دفع الجميع إلى ترقب ما سيحدث، لكن لا شيء حدث له، ما جعله يقول

- رغم تحطمها على جسدي، إلا أني لم أحس بها وكأنها لم تتحطم عليه، فماذا لو كانت أكبر وأقوى يا إلهي، لو كانت أكبر وأقوى لقضت عليّ، لكن ولله الحمد ذلك لم يحدث، والسؤال الآن هو متى ستتوقف عن النزول إلى الأرض، والتحطم عليها؟ فلكل شيء نهاية، لذلك متى ستحل نهايتها؟ ثم تخيلوا لو أن نزولها يستمر إلى ما لا نهاية، كيف سنعيش؟ ومن أين لنا بما يدفع ضررها عنا، من أين لنا ذلك؟

ثم نظر إلى السماء وقال

- أنا أرى الآن واحدة حجمها وقوتها أكبر، فماذا سيحدث بسببها، ماذا سيحدث إن نزلت كثير من مثيلاتها على أرضنا؟ لا جواب سوى سنهلك حتما...سنهلك حتما، فيا مثيلاتها لا تكن كثيرات، لا تكن كثيرات أرجوكن.

الأمر الذي جعل حيرة المارة والجيران تزداد، وبدأوا يتساءلون، هل ما يراه أمير يهدد كوكب الأرض، أم منطقة محددة منه فقط؟ وهل سيحدث ما يراه قريبا أم بعد سنوات؟ وكيف سيتصرفون معه، أم أنهم سيكونون حينها قد ماتوا؟ وهل من الأقدمين من تنبأ بما يراه أمير، وبالتالي تزداد احتمالات حدوثه -إن كان أمير يتنبأ به- أم لا؟ فإذا بالجار الذي ذهب للسؤال عن أمير يخرج من العمارة وهو يضحك، وقال لهم بأنه التقى بأم أمير وهي قالت له بأن ابنها يصف حبات المطر، وبأنه يفعل ذلك تدربا على التعليق الرياضي، وبأنه أصم ولا يسمع لذلك لم يرد على ما طرحوه عليه من أسئلة، فضحك جميع الحاضرين، وغادروا المكان إلى حال سبيلهم.

العبرة من القصة: ماذا لو كان المطر بحجم، وبقوة أكبر، وينزل بشكل دائم، كيف كانت ستكون حياتنا على الأرض؟ فتبارك الله أحسن الخالقين.

ما وراء الحفر في منتصف الليل؟

أصيب جمال ذات ليلة بالأرق، فقام من سريره، واتجه نحو النافذة كي يطل من خلالها على محيط بيته القروي لبعض الوقت، لعل ذلك يذهب عنه الأرق، فلم يرى شيئا - بسبب تأخر الوقت ، ونوم أهل القرية - عدى ضوء خافت في بيت مهجور، مقابل لغرفة نومه، لكنه بعيد عنها بمسافة معتبرة، وكان الضوء الذي بدى له من خلف ستارة نافذة ذلك البيت المهجور، يبدو وكأنه ضوء شمعة، ولأن ذلك البيت مهجور منذ مدة، فقد تفاجأ جمال بما رآه، وتساءل عمن يمكنه أن يكون في ذلك البيت ، وفي ذلك الوقت بالذات، هل هو أحد شاربي الخمور الذين يأتون أحيانا لبيوت القرية المهجورة كي يشربوا فيها الخمر، ويرتكبوا ما شاؤوا فيها من الفواحش، غافلين عن رقابة الله، وأوامره ونواهيه، أم أن أحد المشردين هو من آوى إلى ذلك البيت، أم أن أحد سكان القرية هو من لجأ إليه بعد خلاف مع أفراد عائلته، لكن لم يخطر له أبدا أن يكون الموجود في ذلك البيت، هو أحد ملاكه، لأنه بيت مهجور منذ زمن بعيد، ولم يعد صالحا للسكن أبدا، مما جعل بعض سكان القرية يضع فيه التبن صيفا عند نهاية الحصاد، وعدم إيجاده مكانا يضع فيه تبنه، وبينما جمال يفكر فيمن يمكنه أن يكون موجودا في ذلك البيت، إذا به يرى شخصا من وراء ستارة

نافذة ذاك البيت، ولأن الضوء كان خافتا، فقد بدى له ذاك الشخص وكأنه ظل متحرك، ولأن الفضول تملكه لمعرفة من يكون ذلك الشخص، وما الذي سيفعله، فقد ظل في مكانه، يترقب الذي سيحدث، فإذا بذلك الشخص يحمل فأسا ويهوي به على الأرض مرارا، خلف الستارة، ما جعل جمال يقول في نفسه بأن ذلك الرجل يحفر، لكن لماذا يا ترى، وخاصة في ذلك الوقت المتأخر من الوقت؟ أم أنه أحد الباحثين عن الكنوز، خاصة أن من يفعل ذلك يتعمد فعله بعيدا عن الأنظار، كي لا يكتشف أمره، لأن الدولة تعتبر تلك الكنوز ملك للدولة، ولا يحق لأحد الاستيلاء عليها؟...ثم واصل النظر إلى ذلك الرجل وما يفعله من حفر مستمر، ثم قال في نفسه

- أم أن أحد ملاك ذاك البيت، قد أخفى فيه شيئا، وعاد الآن ليأخذه خفية، وإن كان الأمر صحيحا، ما هو هذا الشيء الذي أخفاه؟ ولماذا عاد الآن بالذات لأخذه، أم أن الأمر المخفي في البيت، هو أمر يتشارك فيه أكثر من شخص من تلك العائلة، وذاك الشخص الذي يحفر الآن يريد الاستفراد به لوحده، لذلك لم يأت لاستخراجه من مكان إخفائه إلا في هذا الوقت المتأخر من الليل، كي لا يراه أحد؟...لكن ماذا لو كان من يحفر الآن هو أحد سكان القرية، بغرض إخفاء أمر ما، أو استخراجه بعدما أخفاه هناك سابقا، فهذا أمر محتمل جدا؟ لكن في جميع الحالات، ما هو ذاك الشيء الذي يتم إخفاؤه أو استخراجه من ذاك المكان؟ ...لكن يا ربي، ماذا لو كان الحافر يحفر قبرا لشخص ما قام بقتله، فالأمر جد معقول، خاصة أن من يرتكب جريمة دائما يبحث عن مكان ملائم لإخفاء آثارها، وذاك البيت المهجور جد ملائم لذلك، فمن يكون القاتل في هذه الحالة، ومن يكون المقتول، ولماذا تمت عملية القتل، أم أن الأمر لا يتعلق بجريمة قتل، بل يتعلق بجريمة سرقة، والحافر الآن يحفر الأرض بغرض إخفاء مسروقاته، التي لا بد من أنها كثيرة، لأنه من غير المعقول أن يظل يحفر إلى الآن من أجل إخفاء شيء بسيط؟

وبحيرة واصل النظر إلى الرجل وهو يحفر الأرض، فإذا به يتوقف عن الحفر فجأة، ويطل برأسه من خلف الستارة، ناظرا يمينا ويسارا متفحصا المكان، ثم عاد لما كان عليه سابقا، فقال جمال في نفسه

- لو لم يكن الضوء خافتا لتمكنت من رؤية وجه ذاك الإنسان، ولعرفت من يكون، لكن ماذا إن لم يكن ممن أعرفهم؟...ماذا لو كان الحافر هو أحد المنتسبين إلى الجماعات المسلحة، وهو الآن يحفر لإخفاء مؤونة أو سلاح، وسيعود لا حقا لأخذها؟ أو أنه يحفر الآن لاستخراج ما أخفاه سابقا من مؤونة، أو سلاح، وفي هذه الحالة ينبغي عليّ الاتصال بالشرطة كي يأتوا ويمنعوه من أخذ تلك الأشياء، والانتفاع بها في ما يقومون به من أعمال يحرمها القانون.

وبعد تفكير لبعض الوقت قال

- لكن ماذا لو جاءت الشرطة، ووجدت أن ما قلته لها هو أمر غير صحيح، فكيف سأتصرف حينها؟ لذلك ينبغي عليّ الاقتراب أكثر من ذاك البيت لمعرفة هوية الحافر، ولماذا يحفر، ثم أقرر ما سأفعله

لكنه تردد في فعل ذلك خوفا على حياته، خاصة بعدما خطر له، أن الجماعات المسلحة ستعرف هويته عاجلا أم آجلا، وسيعملون على الانتقام منه، ولن يكون في مأمن منهم أبدا، لذلك تراجع عما قرره، وفضل البقاء في مكانه يراقب ما يحدث من بعيد، خاصة بعدما خطر له أن الأمر إن كان كما يعتقد، فلابد أن المسلحين جاؤوا في جماعة لتأمين ما سيخفونه، أو ما سيأخذونه، وهم موزعون حول البيت

يراقبون كل شاردة وواردة، مما سيعرض حياته للخطر إن حاول الاقتراب منه، وحين انتهائه من قوله ذاك، سمع صوت دوس على الأغصان، مما أدخل الرعب إلى قلبه، اعتقادا منه من أن أحد المسلحين قد كشف أمره، لكنه عندما التفت لجهة الصوت لم يرى سوى كلبا يقترب منه، ثم واصل سيره مبتعدا عنه،

الأمر الذي جعله يتنفس الصعداء، ويعاود النظر مجددا إلى البيت المهجور وما يحدث فيه، فإذا به يرى الحافر وهو يتوقف عن الحفر، ويمسح جبينه، ثم يجلس، ما جعله غير مرئي لجمال، الأمر الذي جعله يبقى مترقبا ما سيحدث بعدها، لكن ورغم مرور مدة إلا أن شيئا لم يحدث، ما جعله يواصل الترقب متسائلا عما سيفعله ذاك الرجل، وهل سيغادر البيت، أم سيبقى فيه، وفجأة انطفأ الضوء الخافت في ذاك البيت، فاعتقد أن الحافر سيغادره لأنه أنهى عمله فيه، لكن ذلك لم يحدث، ولم يخرج أي أحد، الأمر الذي زاد في استغراب جمال، فإذا بالضوء ينار مجددا، لكن دون أن يظهر ذاك الرجل من خلف الستارة، ثم انتبه جمال إلى أن ذاك البيت الذي نافذته دائما مفتوحة -بسبب تفتت جزء كبير من خشبها- لم يكن موضوعا لها ستارة، فلماذا وضع لها ذلك الشخص ستارة، أم أنه أراد من خلال وضعها إخفاء هويته عن من يمكنه أن يراه، وهنا قال في نفسه

- لا بد من أن الحافر من سكان القرية، أو ممن ليس من سكانها لكننا نعرفه، لذلك فعل ما فعله...لكنه سلوك غبي لأن من قد يمر بجانب ذاك البيت قد يرفع الستارة بمنتهى البساطة، أو يدخل إلى البيت مباشرة ليرى ما الذي يحدث، وبالتالي ينكشف أمر الحافر، لذلك فالحل الأمثل في مثل هذه الحالات، هو وضع قناع من قبل من يريد إخفاء هويته، وينتهي الأمر، فلماذا وضع تلك الستارة إذا؟ أم أن الأمر لا يتعلق بالبشر، بل يتعلق بالجن، ولأنهم غير مرئيين لنا، فكذلك أثاث منازلهم، لكن وقد أصبح الجني مرئيا لي، فكذلك الأمر بالنسبة لستارة نافذته، وهذا أمر معقول جدا، خاصة أن المنازل المهجورة كثيرا ما تكون مسكونة.

وبمجرد أن خطر له هذا الأمر، شعر بالقشعريرة تسري في جسده، لأن ما ترسخ في لا وعيه عن الجن، وعن أذيته للإنسان، من القصص التي سمعها هنا وهناك، لعب دوره في تلك اللحظة، خاصة أن البيت المهجور لا يبعد كثيرا عن بيته، ولأنه مضى وقت على نهوضه من السرير، ووقوفه بجانب النافذة، فقد أحس بالتعب وبالنعاس، ما جعله يتجه نحو سريره وينام، وفي الصباح وبمجرد استيقاظه، اتجه إلى النافذة ونظر من خلالها إلى ذاك البيت المهجور، فإذا به يراه محاطا برجال الشرطة، وسياراتهم، وسيارات أخرى، ما جعله يستغرب كثيرا، لأنه عندما نام كان الغالب على ظنه أن الرجل الذي كان يحفر هو جني وليس إنسيا مجرما، فإذا بالأمر غير ذلك، وبدأ في التساؤل

- ما الجريمة التي ارتكبها ذاك الرجل؟ ومن كشف أمره؟ وكيف؟

وبينما هو يتأمل الجمع المحيط بذلك البيت، لفت انتباهه وجود الستارة التي رآها ليلا خلف النافذة، مما جعله يعتقد أن ما قاله عن سبب وضعها أمر صحيح، وأن ذلك يكشف عن غباء ذلك الرجل الذي كان يحفر، لذلك تم كشف أمره وأمر ما قام به، ولأنه لا يستطيع معرفة حقيقة ما حدث في ذلك البيت إلا إن ذهب إلى هناك، فقد فعل ذلك بسرعة، دون حتى غسل وجهه أو تناول قهوته الصباحية، وبمجرد وصوله إلى هناك سأل أحد رجال الشرطة عن الذي يحدث، فقال له بأن الأمر يتعلق بتصوير لقطات من فيلم، يتم من خلالها استخراج كمية من المخدرات المدفونة في ذلك البيت، بعد أن تم تجهيز المكان ليلا لذلك الغرض من قبل أحد سكان القرية، كي يتم التصوير بسرعة في الصباح، وبأنه ليس شرطيا حقيقيا، بل مجرد ممثل في الفيلم، ما فاجأ جمال وجعله يضحك على نفسه، وبعد تصوير المشاهد المطلوبة، غادرت فرقة التصوير والممثلين المكان، لتصوير مشاهد أخرى في أماكن أخرى، وكذلك الأمر بالنسبة للحياة، حيث ما إن ينتهي فيها مشهد ، حتى يبدأ فيها مشهد جديد، وهكذا دواليك إلى أن تنتهي الحياة.

من يُعذب في البيت المهجور؟

مجددا حدث مع جمال ما حدث له في الليلة السابقة، من أرق وعدم قدرة على النوم، فقام من فراشه واتجه إلى النافذة ليرى ما في الجوار، وينفس عن نفسه، فإذا به يرى نورا خافتا في البيت المهجور

المقابل لغرفة نومه، حيث بدى له الضوء من خلف ستارة النافذة المفتوحة التي لم يزلها فريق التصوير الذي أنهى عمله هناك في الصباح، لذلك استبعد أن يكون الأمر متعلقا بتحضير المكان لتصوير مشاهد جديدة، إلا إن غير المخرج رأيه، وقرر تصوير مشاهد جديدة هناك، وبما أن الأرق قد أعياه فقد قرر الذهاب إلى ذلك البيت المهجور، كي يتسامر مع من يتواجد فيه، إلا إن رأى منهم ما لا يليق، وبينما هو يفكر في هذا الأمر، ظهر له عبر نافذة البيت المهجور، ومن خلف الستارة، شخص يحمل سوطا وشرع في ضرب آخر به دون أن يظهر له ذلك الآخر، مما جعله يتساءل عما يحدث، وعما إن كان الأمر يتعلق ببروفة يقوم بها أحد الممثلين، خاصة أنه لم يسمع صراخ أو أنين الشخص المضروب، لذلك قرر الذهاب إلى هناك للتحقق مما يجري، لكنه تراجع عن ذلك بعدها، كي يتجنب أي ضرر قد يلحق به إن كان الأمر يتعلق بأمر آخر غير ما توقعه، وقرر أن ينادي على ذلك الضارب من بعيد لمعرفة ما يحدث، دون أن يذهب إلى ذلك البيت، وعندما نادى عليه توقف عن الضرب بالسوط، وأطل من النافذة دون أن يقول شيئا، فقال له جمال

- ما الذي تفعله هناك يا رجل؟

فإذا بالرجل يبتعد بسرعة عن النافذة، ويطفئ النور، دون أن يسمع جمال منه أي رد، ما جعله يحتار، ويتساءل عن هوية ذاك الرجل، وهوية من كان يضربه، ولماذا لم يكن ذاك المضروب يصرخ من شدة الألم؟ أم أنه كان مكمم الفم، لذلك لم يستطع الصراخ؟ ثم إن كان الأمر صحيحا فإلى متى سيبقى ذلك الرجل مكمم الفم؟ أم أن من كان يضربه، كان يريد تعذيبه أولا، ثم قتله كي لا يبلغ الشرطة عنه إن تركه لحال سبيله؟ وهذا طبعا إن لم يقرر الانتقام منه بنفسه بعد الاستعانة بأهله، أو أصدقائه عليه، فهل قتله إذا وتركه جثة هامدة في ذلك البيت المهجور وهرب، أم ماذا؟ ثم قال في نفسه

- علي الاتصال بالشرطة، وإخبارهم بكل ما رأيته.

وبعد قيامه بذلك، ومجيء رجال الشرطة، وتفتيشهم المكان، لم يجدوا شيئا، لذلك غادروا القرية بعد أن نبهوا جمالا لضرورة التأكد مستقبلا من حدوث أمر ما، قبل الاتصال بهم، ولأن جمالا كان متأكدا مما رآه، فقد عاود الذهاب إلى ذلك البيت نهارا كي يفتشه من جديد، لكن دون جدوى، ما جعله يطوف على سكان القرية كلهم، كي يرى إن كان أحدهم هو من ضرب بالأمس أم لا، لكن كل سكان القرية بدوا له بخير، ما جعله يعتقد أن المضروب شخص من خارج القرية، وربما الضارب أيضا، لكن قد يكونا كلاهما من القرية، والشخص المضروب بدى له بخير، لأن الملابس التي يرتديها قد أخفت عنه آثار الضرب، ولأنه لم يجد الإجابة عن تساؤلاته، فقد قرر عدم البحث في الموضوع مجددا مع سكان القرية، لكنه قرر أيضا مراقبة البيت المهجور ليلا عبر نافذة بيته، ليرى إن كان الأمر سيتكرر مرة أخرى أم لا، وبينما هو واقف بجانب نافذة بيته، في وقت متأخر من الليل، إذا به يرى الضوء الخافت ينار في ذلك البيت مجددا، وخلف الستارة بدا له شخص جالس على الكرسي، وبعد لحظات، اقترب منه شخص آخر وهو حامل لحبل، وقام بربط الشخص الأول به إلى الكرسي، ثم أخرج منديلا من جيبه وكمم به فمه، ليشرع بعدها في صفعه مرارا وتكرارا، الأمر الذي أدهش جمالا كثيرا، خاصة أنه لم ير الشخص المضروب يبدي أية مقاومة، بل إنه تصرف باستسلام تام ، ثم إن جميع أهل القرية قد علموا بما رآه جمال بالأمس، وعلموا أيضا بمجيء الشرطة لتفحص المكان، فلماذا كرر ذلك الرجل سلوكه التعذيبي ذاك وفي نفس المكان، دون أن يخشى اكتشاف أمره من جديد! أم أنه ليس من سكان القرية لذلك لم يعلم بشيء؟ وهنا قال جمال في نفسه

- لكن حتى إن لم يكن الضارب من القرية، فقد سمعني عندما ناديته، فلماذا يكرر ما قام به بالأمس وهو يعلم أني رأيته، أم أنه ظن أني وبسبب كل ما ذكرته، لن يخطر على بالي أبدا عودته مجددا لممارسة ما يقوم به، لذلك عاد إلى ذلك البيت الليلة ليعاود ممارسة أفعاله؟...لكن هل الشخص

الذي يعذبه الليلة هو نفسه الشخص الذي عذبه بالأمس أم لا؟ وإن كان الأمر صحيحا، فلماذا يتركه يعذبه دون مقاومة هكذا؟ أم الأمر يتعلق بعصابة، حيث كلما أخطأ أحد أفرادها، عذبوه بتلك الطريقة الوحشية، ولأن العصابة خطيرة، لا يجرأ المعذَّب على مقاومة تعذيبها له، أو الإبلاغ عنها؟...بالأمس أخطأت حين اتصلت بالشرطة، لكن الليلة لن أخطئ بإذن الله، والآن سأتصل ببعض رجال القرية، كي نقوم بمداهمة ذاك البيت، وإلقاء القبض على من فيه، لأنه ومهما كان عددهم، فلن يستطيعوا مقاومتنا كلنا.

وبمجرد انتهائه من كلامه، انطفأ الضوء في البيت المهجور، ما جعل جمال يعتقد بأن من كان فيه قد غادر المكان، وبالتالي لا فائدة من الاتصال بأحد، ثم فكر قليلا وقرر الاتصال بمن قرر سابقا الاتصال بهم، لأنه لا يعلم هل الرجل المضروب قد غادر البيت، أم أنه ترك في ذلك البيت ليعاني طوال الليل من البرد والظلمة، وبعد قدوم من اتصل بهم، محملين بالبنادق والمصابيح، ومداهمتهم المكان ، لم يجدوا فيه شيئا، كما لم يجدوا أي دليل يشير لأن أحدهم كان يعذب هناك، الأمر الذي جعلهم يعودون إلى منازلهم وهم محتارين، وقد قرروا العودة إلى بيت جمال في الغد لمراقبة البيت المهجور، ومداهمته بمجرد إنارة الضوء فيه، كي لا يتركوا فرصة لأحد القادمين إليه كي يفر، وبعد فعلهم ذلك، وبقائهم لمدة طويلة في بيت جمال دون أن يحدث شيء، ونفس الأمر حدث طوال ثلاث ليال أخرى بقوا فيها يترقبون ما سيحدث في البيت المهجور، أصيبوا بالملل، الأمر الذي جعلهم يقررون التوقف عن المراقبة، لكن جمالا قال لهم بأنه إن تكرر الأمر فسيقوم بتصويره كي يريه لهم، ويتأكدوا بأن ما قاله لهم عن الذي حدث في البيت المهجور لم يكن وهما توهمه كما قال له بعض الحاضرين، أو كذبة مختلقة من قبله بغرض التسلية، وفي الليلة التالية لتلك الليالي، بقي جمال يراقب ما سيحدث وهو حامل لهاتفه النقال، استعدادا لتصوير ما قد يراه يحدث في ذلك البيت، وبعد لحظات من ترقبه، رأى الضوء الخافت ينار في ذلك البيت، فأسرع إلى التصوير وهو يترقب ما سيحدث بعدها، فإذا بشخص يجر آخر إلى خلف الستارة، ويجلسه على كرسي، ثم يشرع في ربطه إليه بحبل، وتكميم فمه، وبعدها أخرج سكينا من جيبه ووجهه لعينه اليمنى، ما جعل جمال يقول

- يا للهول!

لكن الرجل وجه ضربة أخرى بالسكين لعين الرجل المربوط اليسرى، ثم شرع في توجيه ضربات مختلفة بالسكين إلى كل جسده، وعندما انتهى من تعذيبه، أطفأ الضوء، ليبقى جمال مصدوما في مكانه، وغير مصدق لما رآه لبعض الوقت، ثم قام بإعادة مشاهدة ما صوره مرة أخرى، ليقرر بعدها الاتصال بالشرطة، لأنهم من عليهم الذهاب إلى البيت المهجور، وليس سكان القرية الذين حتى إن ذهبوا إلى هناك فلن يفعلوا شيئا غير الاتصال بالشرطة هم أيضا، لذلك واختصارا للوقت، فقد قام جمال بالاتصال بالشرطة، وأخبرهم بما رآه وصوره، لكن حين مجيئهم لم يجدوا أي شيء في البيت المهجور، يشير لتعذيب أحد ما فيه، وما أدهش جمال هو أن رجال الشرطة عندما طلبوا منه أن يريهم الفيديو الذي صوره، لم يجده في هاتفه، وكأن أحدهم قام بمحوه، رغم أنه لم يترك الهاتف من يده تلك الليلة أبدا، ما جعله يقول بأنه ربما وعن غير قصد قام بمحو ما صوره دون أن ينتبه لذلك، لكنهم لم يصدقوه، واتهموه بالتلاعب بهم، الأمر الذي جعلهم يأخذونه معهم كي يحققوا معه أكثر في الموضوع، ولم يفرجوا عنه إلا بعد مرور يومين، ورغم كل ما حدث معه، إلا أنه لم يستسلم، وقرر مواصلة مراقبة البيت المهجور، وتصوير ما يحدث فيه، حتى لا يتهمه أحد بالجنون، أو الكذب، وبمجرد حلول الظلام، لازم نافذته وهاتفه في يده كي يصور به ما سيحدث في البيت المهجور، وعندما حل منتصف الليل رأى الضوء الخافت ينار فيه، ثم رأى شخصا خلف الستارة يلكم آخر عدة لكمات أسقطته أرضا، ثم أخذ قوسا ورماه بخمس سهام كاملة، وبعدها نظر الضارب إلى جمال وأشار إليه بسبابته، ثم مررها على رقبته، قاصدا القول

- سأذبحك.

ثم أطفأ الضوء، الأمر الذي أرعب جمالا وجعله يتوقف عن التصوير، ويغلق النافذة بسرعة، ثم يتجه نحو الباب ويتأكد من مدى كونه مغلقا بالمفتاح أم لا، ثم قام بمشاهدة ما صوره، ليتساءل بعدها عن سبب ما يحدث معه، وعن هوية الرجل الذي هدده بالذبح، والذي حتما هدده بسبب رقابته وتصويره له، لكن من تراه يكون؟ وهل هو من سكان القرية، أم من خارجها؟ وإن كان من خارج القرية، فمن أخبره عما يفعله جمال؟ ثم أين ضحاياه؟ ولماذا لا أحد وجد ما يدل على ارتكاب أعمال تعذيب في البيت المهجور؟ ولأن الرعب قد سيطر عليه، فقد بقي طوال تلك الليلة مستيقظا، وعندما طلع النهار، وأراد مشاهدة الفيديو الذي صوره مجددا، وجد أنه تم محوه، الأمر الذي أدهشه وجعله يعتقد أن الأمر يتعلق بالجن، لأنهم من يستطيع القيام بمثل هذه الأمور بمنتهى البساطة، أو أن أحدهم قام باختراق هاتفه، ويتحكم فيه عن بعد كما يشاء دون أن ينتبه له، وإن كان الأمر صحيحا، فمن تراه يكون؟ هل هو ذاك الرجل المجرم؟ أم أنه شخص آخر؟ وإن كان الأمر متعلقا بالرجل المجرم، فكيف استطاع الوصول إلى هاتفه بالذات؟ أم أن هناك تكنولوجيا سهلت عليه الأمر لا يعرفها هو؟ ثم طالما هدده بالذبح، فمتى سيفعل ذلك؟ وهل سيفعله ليلا أم نهارا؟ وهل سيفعله في البيت المهجور؟ أم في مكان آخر؟ وبسبب الخوف الذي تملكه، فقد قرر استعارة بندقية صديقه فراس كي يحمي بها نفسه، وقد فضل فراس البقاء معه تلك الليلة كي يقلل من خوفه، لكن تلك الليلة لم يحدث فيها شيء، بينما في الليلة التالية عندما بقي جمال لوحده في البيت، بسبب سفر فراس إلى المدينة، لم يستطع جمال الحفاظ على هدوئه، وظل خائفا ومترقبا ما سيحدث والبندقية في يده، وبينما هو على ذاك الحال، إذا به يسمع طرقا قويا على الباب، لكنه لم يجرء على الاقتراب منه، فما بالك بفتحه، كما أنه أبقى كل نوافذ بيته مغلقة ، وبينما هو ينظر إلى الباب مترقبا ما سيحدث، إذا به يسمع صوتا مخيفا من خلف الباب، بدا له وكأنه صوت وحش يقول له

- لن تتمكن من الإفلات من مصيرك المحتوم مهما اختبأت، ولن تنجو مني إلا إن غادرت القرية، وعجزت عن الوصول إليك.

ثم سكت، وتلى ذلك خطوات تشير لابتعاد صاحب الصوت عن المكان، تاركا جمالا في مكانه يتساءل عن هوية صاحب الصوت، الذي لم يسبق له أن سمعه في حياته كلها، وظل طوال الليل يقول في نفسه

- من يكون هذا المجرم؟ وما هي حكايته؟ من يكون هذا المجرم؟ وما هي حكايته؟

وطلع عليه النهار وهو يردد نفس الأسئلة، وبينما هو على ذلك الحال، إذا به يسمع صوت صفارات سيارات الشرطة المعلنة عن قدومها إلى القرية، وعندما خرج لاستطلاع الأمر، علم من سكان القرية أن رجال الشرطة، قد ألقوا القبض على الأخوين فراس وعباس، وأخذوهما معهم، دون أن يعلم أحد سبب ذلك، لكن في المساء عاد رجال الشرطة إلى القرية، وأخذوا جمالا معهم دون أن يعلموه بشيء، وعندما واجهوه بعباس وفراس وسألوه عن علاقته بهما، قال لهم بأنهما صديقاه منذ الطفولة، وهو يعتبرهما بمثابة أخوين له، ليفاجئه ضابط الشرطة بأنهما من يقف وراء ما كان يراه في البيت المهجور، حيث أنهما كانا يريدان إخافته كي يرحل عن القرية، ويبيع لهما بيته وأرضه، حيث وما إن علم عباس وفراس بالأرق الذي يصيب جمالا كل ليلة، وكيف أنه يقف بجوار نافذته إلى أن ينعس، حتى قررا أن يفعلا معه ما فعلاه، حيث كان عباس يراقب جمال، وفراس يذهب إلى البيت المهجور، آخذا معه دمية كبيرة بحجم إنسان، وبمجرد أن يقف جمال بجانب نافذته، يتصل عباس بأخيه و يعلمه بالأمر فيبدأ هذا الأخير في تمثيليته المخيفة مع الدمية، وبما أنهما صديقاه المقربان، وكثيرا ما يترك جمال هاتفه في يد أحدهما ليتصفح ما فيه أو ما شابه، فقد استغلا الفرصة بعدما علما منه بأنه سيصور ما يراه، وقاما بوضع برنامج فيه يسمح لهما بالتحكم في الهاتف عن بعد، وبفضل ذلك البرنامج قاما بمحو ما صوره لمرتين متتاليتين، غير عالمين بقدرة الشرطة على استعادة الملفات المحذوفة بكل بساطة، وبعد استعادتهم لما

صوره جمال، قاموا بمراقبة البيت المهجور، وتعرفوا على هوية من يرتاده، وهوية من يساعده، وعندما أخبرهم جمال بأن الصوت الذي هدده لم يكن صوت أحدهما، قال له الضابط بأنهما استعانا ببرنامج يغير الأصوات، لذلك لم يتعرف على الصوت الحقيقي لمن هدده بالقتل، وبذلك حل لغز ما كان يحدث في البيت المهجور.

العبرة من القصة: يقول المثل الصديق وقت الضيق، لكن أحيانا يكون هو مصدر الضيق، لذلك احذر من أصدقائك.

من يؤذي صديقي؟

أسيل طالب جامعي، يقيم مع صديقه وابن قريته أحمد في غرفة واحدة، في الحي الجامعي، ورغم مرور مدة على تواجدهما معا دون أن يلاحظ أحدهما أمرا غريبا على الآخر، إلا أن أحمدا بعدها أصبح يلاحظ آثار كدمات على وجه صديقه من حين لآخر، إذ مرة رأى كدمة على جبهته، ومرة رآها على خده، ومرة على يده اليمنى، لدرجة أن أسيل كان يحرك يده بصعوبة، وكلما سئل عن سبب ذلك، قال بأنه تعرض لحادث ما سبب له ذلك، وبعد أن كان يلاحظ عليه كدمات، أصبح يلاحظ عليه جروحا، إذ مرة دخل عليه الغرفة وهو مجروح الإصبع، ومرة دخل عليه وهو مجروح الشفاه، وكأن أحدهم ضربه على فمه، ومرة دخل عليه وهو يعرج، وقال له بأن مسمارا بارزا في حذائه جرح قدمه وجعله يمشي بتلك الطريقة، أما إصبعه فقال بأن أحدهم من أغلق عليه الباب دون أن يراه، وبخصوص شفتيه، فقد قال بأن طبيب الأسنان من سحب أداة قلع الأسنان من فمه بطريقة جرحتهما عن غير قصد منه، ورغم أن أسيلا كان دائما يقدم تبريرات مقنعة لصديقه عما يحدث له، إلا أن الشك بدأ يراود أحمد عن سبب تلك الكدمات والجروح، ذلك أن الأمر تكرر معه كثيرا، وذات مرة عندما دخل عليه الغرفة، وجده يتأمل ساقه المليئة بالكدمات، وعندما سأله عن سببها، قال له بأنه سقط على الدرج عندما خرج من الغرفة بعد خروج أحمد منها بقليل، لذلك أصبحت على تلك الحال، لكن أحمد لم يصدقه لأنه كان في نفس الرواق الذي تتواجد فيه غرفته مع أسيل، يتبادل أطراف الحديث مع أحد الطلبة، ولم ير أسيل يخرج من الغرفة أبدا، لذلك تساءل عن سبب كذب صديقه عليه، وكاد أن يبوح له بما يراوده من شكوك في الموضوع، لكنه في الأخير فضل احترام كتمانه سبب ما يحدث معه، واكتفى بسؤاله عن ما إن كان هناك أحد ما يؤذيه أم لا، الأمر الذي أنكره أسيل بشكل كلي وقال له

- لا أحد يؤذيني، لذلك لا تقلق عليّ.
- أحمد: أحقا لا أحد يؤذيك، أم أنك لا تريد إخباري بالأمر كي لا أقلق عليك، أو أخبر عائلتك بالأمر مثلا؟
- أسيل: صدقني يا صديقي العزيز لا أحد يؤذيني، وكل ما في الأمر أن حظي أصبح سيئا في الفترة الأخيرة، لذلك أصبحت أتعرض للحوادث بكثرة، وهذا كل ما في الأمر.
- أحمد: إذا أرجو من الله أن يجعل حظك يتحسن في أسرع وقت ممكن، لكن في كل الأحوال عليك أن تعلم أني صديقك، وبأني مستعد لمساعدتك في أي وقت تحتاجني فيه، لذلك إن كان هناك من يؤذيك فأخبرني عنه، وأنا سأساندك وسأدافع عنك، ولن أبخل عليك بذلك أبدا.
- أسيل: كل ما قلته أعلمه، لكن صدقني لا أحد يؤذيني.
- أحمد: حسنا إذا، أرجو من الله مجددا أن يعينك، ويحسن حظك.

وبعدها تمدد على سريره وبدأ يفكر في سبب كذب صديقه عليه، وفيما إذا كانت الكدمات التي على ساقه كدمات قديمة، أم حديثة، وإن كانت حديثة، هل سببها سقوطه من على السرير في الغرفة؟ أم أنه أصبح ماسوشيا يسبب الأذى لنفسه من حين لآخر لذلك كذب عليه، ولم يخبره بالحقيقة إحراجا منه؟ أم أن الجن

من يقف وراء ما يحدث معه، لذلك كذب عليه أسيل لأنه خشي إن أعلمه بالأمر أن يؤذيه الجن هو أيضا كما يؤذيه هو؟ وبمجرد أن خطر له هذا الأمر نظر لأسيل وقال له

- أنت تعلم يا أسيل أن العين حق، لذلك ربما تعرضت لعين حاسدة هي من تقف وراء ما يحدث لك، فما رأيك أن نذهب لزيارة أحد الرقاة كي يرقينا؟ فهذا الأمر وإن لم يفدنا فلن يضر بنا.
- أسيل: لا ما نع لدي إطلاقا، لكن هل تعرف راقيا جيدا في هذه المدينة، يمكننا الذهاب إليه.
- أحمد: لغاية الآن لا، لكن سأسأل أصدقائي ومعارفي وسأرى إن كان بوسعهم إفادتي.

وبعد مدة ذهبا إلى أحد الرقاة الذي دُلاّ عليه من قبل أحدهم، لكن دون جدوى، لأنهما لم يتأثرا أبدا بما كان يقرأه عليهما، ما يعني أنهما ليسا مصابين بشيء، الأمر الذي أسعدهما وجعل أحمد يقول في نفسه بأن الجن لا علاقة له بما يحدث مع أسيل، وبالتالي قد يكون ما فكرت فيه من كونه أصبح ماسوشيا أمر صحيح، لذلك سأله قائلا

- ما ذا تعرف يا أسيل عن الشخص الماسوشي؟
- أسيل: ما أعرفه أنه الشخص الذي يؤذي نفسه، ويتلذذ بذلك، لكن لماذا تسأل؟
- أحمد: سألتك لمجرد السؤال فقط.

وواصلا سيرهما وأحمد يفكر في مدى كون صديقه ماسوشيا ويخجل من الاعتراف بذلك أم لا، ومن أجل معرفة الحقيقة وتشجيع صديقه على البوح، فقد سأله قائلا

- لو أني يا أسيل رجل ماسوشي، فماذا ستقول عني؟
- أسيل: لا أقول سوى ليهديك الله ويشفيك، لكن هل أنت فعلا كذلك؟
- أحمد: نعم، لكن ليس دائما، وأحيانا مثلا أشتهي طعاما، لكن مع ذلك لا أتناوله، وأجد في ذلك متعة، فماذا عنك أنت؟
- أسيل: لا أذكر أن الأمر قد حدث لي ولو لمرة واحدة، كما لا أريده أن يحدث معي، لأنه أمر شاذ، ولا تنزعج من قولي هذا، لكنها الحقيقة.
- أحمد: أعلم ذلك وأنا أحاول التخلص من سلوكي هذا منذ مدة، وإن لم أنجح في ذلك فسألجأ إلى طبيب نفسي، فهل ستلجأ أنت أيضا إلى طبيب نفسي إن أصبت بمرض مشابه، أم أنك ستخاف من ردة فعل المجتمع؟
- أسيل: لا أخفيك أني أخاف من ردة فعل المجتمع، لكن مع ذلك إن مرضت فلن أدخر جهدا في علاج نفسي، لكن سأعالج عند مختص يقيم بعيدا عمن أعرفهم كي لا يكتشف أمري، وأتفادى الإحراج الذي قد يسببه لي ذلك.

ولأن أحمد عجز عن جعل صديقه يعترف له بحقيقة ما يحدث له، فقد قرر تتبع تحركاته كي يعرف ما يحدث معه بالضبط، وبمجرد خروجه من الحي الجامعي لحق به، فرآه يتعثر ويسقط أرضا على وجهه، ثم بعد مدة رآه يقف أمام واجهة إحدى المكتبات، فإذا بزجاجة ماء معدني تسقط على كتفه، وعندما اقترب من الحي الجامعي الذي يقطن فيه، مرت بجانبه سيارة من نوع نصف شحن، محملة بصناديق مليئة بالتفاح، فإذا بتفاحة تسقط على رأسه ثم على الأرض، ما جعله ينزعج من الأمر، ثم حمل التفاحة وواصل طريقه وأحمد ينظر إليه، وعندما دخل عليه الغرفة، وجده جالسا على سريره وهو متورم الأنف ويدلك كتفه، فسأله عما جرى معه، ودون كذب أجابه أسيل، وأخبره بكل ما حدث معه، الأمر الذي حير أحمد، وجعله يتساءل عما إن كان ما أخبره به أسيل سابقا كله صحيح أم لا، وإن كان الأمر صحيحا، لماذا كذب عليه فيما يتعلق بالكدمات التي رآها على ساقه، وهل عليه أن يخبره بأنه يعلم أنه كذب عليه، أم عليه التزام الصمت كي يتفادى أي إحراج قد يسببه ذلك له، وفي النهاية قرر مواصلة تتبع تحركاته،

لعله يصل لمعرفة ما لم يعرفه ذاك اليوم، وعندما تتبع تحركاته في اليوم الموالي تفاجأ به وهو يعاكس إحدى الفتيات، ما جعل شابين كانا راكبين في سيارة قريبة من الفتاة، ينزلان منها ويشبعانه ضربا لأن تلك الفتاة كانت أختهما، وقد تمكن من الإفلات منهما بصعوبة، وعندما رأى أحمد ذلك قال في نفسه

- الآن فهمت لماذا كذبت عليّ أيها الوغد.

وعندما عاد إلى غرفته، وجد أحمد هناك وأثر الضرب واضح على وجهه، فسأله عن الذي جرى معه، لكن أسيل كذب عليه، وقال له بأنه سقط على الدرج مجددا، فسكت أحمد ولم يخبره بشيء مما علمه عنه، ولأنه كان مستاء منه ومن سلوكه الغير محترم، فقد غادر الغرفة باتجاه غير معروف، لكن أحد زملائه الطلبة، اعترض طريقه، وطلب منه إعارته أحد كتبه، فعاد أحمد أدراجه إلى الغرفة كي يأخذ منها الكتاب المطلوب، وعندما وصل إلى باب الغرفة، سمع أسيل يقول بألم

- آي.

فاعتقد أن الأمر سببه الضرب الذي تلقاه، لكنه عندما أطل من فتحة قفل الباب، رآه وهو يضرب ساقه المليئة بالكدمات بحزام سرواله، الأمر الذي حيره، وجعله يقف للحظات أمام الباب مستغربا ما رآه، ثم قال في نفسه

- صحيح أن مراعاة مشاعر الآخرين أمر مطلوب، يدعوا إليه ديننا الحنيف، لكن هذا لا ينبغي أن يكون على حساب نصح الآخرين وإرشادهم.

ثم فتح الباب ودخل، وقال لأسيل وهو ينظر إلى ساقه الذي توقف عن ضربها

- ألم تشفى ساقك بعد من تلك الكدمات التي عليها؟
- أسيل: كما ترى، فهي لم تشفى بعد.
- أحمد: وكيف ستشفى وأنت من يسببها لنفسك باستمرار! ولا تقل لي غير هذا لأني رأيتك وأنت تضرب ساقك بحزام سروالك يا ماسوشي، كما رأيتك وأنت تُضرب بسبب معاكستك لإحدى الفتيات، لذلك أخبرني منذ متى أصبحت أخلاقك هكذا؟ ومنذ متى تغيرت وأصبحت ماسوشيا تلحق الضرر بجسدك الذي هو أمانة استودعك الله إياها ها؟

فسكت أسيل قليلا، ثم قال لأحمد

- والله يا أخي، أنا لست كما تظن، فأنا لم أفعل ما رأيتني أفعله لأني ماسوشي، بل لأني أعاقب نفسي على سلوكها غير المحترم مع الفتيات، ذاك السلوك الذي أدمنت عليه بسبب بعض رفقاء السوء، لكني الآن ابتعدت عنهم، وقررت التخلص من عادة معاكسة الفتيات، وكلما هزمتني نفسي ولم ألتزم بما قررته، لجأت إلى ضرب ساقي كعقوبة تزجرني عن معاودة ذاك السلوك مجددا، كما أنني كلما التزمت بالأمر لجأت إلى مكافأة نفسي بأمر أحبه، فهكذا يقول الخبراء لمن يريد تغيير عادة من عاداته السيئة قبل أن يأتي يوم لا ينفع فيه مال ولا بنون، فهل فهمت حقيقة الأمر الآن.
- أحمد: لقد فهمت، واعذرني لأني أسأت فهمك.

وبعد مدة تمكن أسيل من التخلص من عادته السيئة تلك، وعاد كسالف عهده، لا يعامل الفتيات إلا كما يحب أن تعامل أخواته.

العبرة من القصة: حاسب نفسك قبل أن تحاسب، واستعن على ذلك بما يمكن إصلاحها به، وأول ذلك الصديق الصالح.

عقد اللؤلؤ

يحكى أن تاجر مجوهرات ثري في المدينة، لم يرزق سوى بابنة واحدة سماها جوهرة، وبعد أن كبرت أصبحت كالجوهرة في خلقتها وخلقها، ما جعل الخطاب يتهافتون على خطبتها، لكن والدها كان دائما يرفض تزويجها لأحد منهم، بحجج مختلفة، فمرة يقول بأنها لا تزال صغيرة، ومرة يقول بأنها مدللة، ولا تتصرف بنضج بعد، ومرة يقول بأن لابنته شروطا محددة لا تتوفر في الخاطب، وغيرها من الحجج المختلفة، لكنه في الحقيقة لم يكن راغبا في تزويجها لأنه لم يكن يريد مفارقتها، وكذلك لخوفه من أن يكون الدافع وراء من يخطبها، هو طمعه في الثروة التي سترثها منه بعد وفاته، الأمر الذي انتبهت له أمها، وجعلتها تنصحه قائلة

- يا رجل، المرأة لم تخلق إلا للرجل، فلماذا تقف عائقا بين ابنتك، وبين ما هو من حقها، خاصة أنها أصبحت الآن في الخامسة والعشرين، وكلما مر الوقت وكبرت في السن أكثر، كلما قلت حظوظها في الزواج. فإلى متى ستظل ترفض من يتقدم لخطبتها، أم أنك تريدها أن تصبح عانسا بسببك، وتحمل وزر ذلك في صحيفتك إلى يوم القيامة؟

وعندما سمع زوجها منها ذاك الكلام، فكر فيه مليا، ثم نظر إلى السماء وقال

- يا رب، أنت تعلم كم أحب جوهرتي، ولو كان الأمر بيدي لما تركتها تفارق بيتي أبدا، لكن وبما أن الزواج من سننك في هذه الحياة، فلن أقف مجددا عائقا أمام زواج ابنتي، لكن بشرط أن تتوفر في من ستتزوجه الصفات التي تجعلني أزوجها له وأنا مطمئن لكونه سيكون لها كالصدفة للؤلؤة، يحميها، ويرعاها، ولا يؤذيها أبدا.

وبينما هو متوجه لعمله ذات يوم، إذ برجل يستوقفه في الطريق، ويقول له بأنه معلم، ويرغب في الزواج من ابنته، بعدما رآها مرة تسير في الشارع، وأعجب بها، فطلب منه الأب مهلة للتفكير في الموضوع، ونفس الكلام قاله لأم طبيب زارته في محله وعرضت عليه أمر تزويج ابنته من ابنها، وبينما هو يفكر في الموضوع، خطر له أن مكانة الطبيب الاجتماعية، والمادية، أفضل من مكانة المعلم لذلك فهو الأفضل لابنته، فإذا بدكتور في الجامعة ينزل من سيارة فخمة أمام محله، ويعرض عليه فكرة الزواج من ابنته التي لطالما أعجب بجمالها، فقال له الأب ما قاله للمعلم وأم الطبيب، وعندما خرج من عنده، قال الأب بأن الدكتور أكبر سنا من المعلم ومن الطبيب، وبالتالي فهو أكثر نضجا منهما، وهو من بإمكانه توفير الاستقرار لابنته، عكس المعلم والطبيب الذين لازالا في نفس سن ابنته تقريبا، كما أن راتب الدكتور، ومكانته الاجتماعية، أمران مشجعان على القبول به، لكن بعد خروجه من محله صادفه في الطريق أحد أصدقائه، الذي قال له بأنه يرغب في خطبة ابنته لابنه الطيار، فما كان من الأب إلا طلب مهلة للتفكير في الأمر، وواصل سيره وهو يقول بأن ابن صديقه أفضل لابنته، لأنه يعرفه ويعرف والده منذ زمن بعيد، والمثل يقول من تعرفه خير ممن لا تعرفه، خاصة أنه ذو حسب ونسب، ومهنة محترمة، وذات مدخول وفير، كما أن كونه طيارا أمر يجعله كثير الترحال، وبالتالي ستتواجد ابنته كثيرا معه في بيته، وهو أمر يروق له كثيرا، لكنه بعدها غير رأيه وقال في نفسه

- ما هذا الذي أفكر فيه؟ فالمال والمكانة الاجتماعية، وغيرها من الأمور المادية التي أحسب حسابها متوفرة لدى ابنتي، وحتما ليست هي معيار الشخصية التي ستوفر الأمان والطمأنينة لها، ولن يوفر لها ذلك إلا صاحب الدين والخلق، خاصة أنهما الأمران اللذان ركز عليهما الرسول (ص)...لكن من بين الذين تقدموا لخطبة ابنتي، كيف سأعرف صاحب الدين والخلق منهم يا ترى؟ إذ حتى ابن صديقي الطيار، ورغم معرفتي به منذ الصغر، إلا أني لا أستطيع الجزم بأنه صاحب خلق ودين، لأني لا ألازمه **24** ساعة على **24** ساعة، فكيف سأتصرف يا ربي؟

وبينما هو على تلك الحال، إذا به يتذكر عقد اللؤلؤ الذي ضاع من محله ذات يوم، ورغم محاولاته العديدة استعادته إلا أنه عجز عن ذلك، لذلك قرر أن من يعيده له من الخطاب هو من سيكون زوجا لابنته، خاصة أنها دائما تقول له بأنها لن تتزوج إلا من يرضاه زوجا لها، إكراما لمعزته عندها، والمهم هو قيامه بجمع الخطاب الأربعة، وإخبارهم أنه وبينما كان يبحث عن عقد اللؤلؤ في محله ذات يوم، ظهر له جني على هيأة رجل، وأخبره أنه هو من سرق عقد اللؤلؤ الخاص به، وبأنه وضعه في أحد البيوت المسكونة بالأشباح، ولن يستطيع أحد استرجاعه من هناك، إلا إن كان صاحب خلق ودين، إذ هو فقط من ستعجز الأشباح عن إيذائه، ولذلك قام بجمعهم وإخبارهم بالأمر، حيث من سيعيد إليه عقد اللؤلؤ هو من سيكون زوجا لابنته، وحين سمع الخطاب الأربعة كلام الأب، دهشوا له، وتبادلوا النظرات فيما بينهم، ثم قال له الطيار

- أخبرتنا بما قاله الجني يا عم، لكنك لم تخبرنا بما فعلته بعدها، فهل حاولت استرجاع العقد وفشلت، أم ماذا؟
- الأب: يا بني، أنا مصاب بمرض ارتفاع ضغط الدم، وخشيت إن ذهبت إلى ذاك البيت المسكون لاستعادة العقد، أن تخيفني الأشباح خوفا شديدا يؤدي إلى ارتفاع ضغط دمي، وبالتالي وفاتي، لذلك استعنت ببعض الشبان للقيام بالمهمة بدلا عني، لكنهم فشلوا جميعا في الأمر.
- الطبيب: وهل أخبرك أولئك الشبان بما لا قوه من أهوال في ذلك البيت يا عم؟
- الأب: معظم من أرسلتهم إلى ذلك البيت عادوا دون أن يتوغلوا كثيرا داخله، بسبب ما أخافهم فيه منذ البداية، من أصوات وأشكال مرعبة، والوحيد الذي توغل فيه لم يتمكن من العودة منه إلى الآن، ولا أحد يعلم بما حل به.
- الدكتور: وكم مضى على ذهابه إلى ذاك البيت المشؤوم؟
- الأب: مضى على ذهابه حوالي عامين.
- الدكتور: وهل قمت بإبلاغ الشرطة عن الأمر أم لا؟
- الأب: قمت بذلك، لكن حتى رجال الشرطة خافوا من الدخول إلى ذلك البيت، لذلك ذهب ما فعلته سدا.
- الدكتور: أنا دكتور في الفيزياء، ولست دكتورا في عالم الجن والأشباح، لذلك لا يمكنني الدخول إلى ذلك المكان من أجل فتاة يمكنني ببساطة إيجاد واحدة جميلة مثلها، أو أكثر جمالا منها، لذلك فأنا لم أعد راغبا في الزواج من ابنتك، طالما اشترطت علينا ذلك الشرط.
- الأب: أنت حر في اتخاذ القرار الذي تشاؤه، فماذا عنكم أنتم أيها الطبيب، وأيها الطيار، وأيها المعلم؟
- الطبيب: لقد فاجأتني بما قلته، لذلك أحتاج لبعض الوقت كي أتخذ قراري في الموضوع.
- الأب: كما تشاء، وأمامك ثلاثة أيام كي تخبرني بما قررته، فإن مضت الثلاثة أيام دون أن أسمع منك جوابا، فهذا يعني أنك غير موافق على الأمر، فماذا عنك أنت أيها الطيار؟
- الطيار: أجبني أولا يا عم، هل يمكنني أخذ شخص آخر معي إلى ذلك المكان أم لا؟
- الأب: بلى، يمكنك أخذ من تشاء معك، لكن أنت فقط من يحق له الدخول إلى ذلك البيت، لأنه لا يفتح سوى لشخص واحد فقط.
- الطيار: رغم أن الأمر يبدو مخيفا، لكنه أيضا يبدو تحديا جذابا، سأخوضه بكل عزم، وسآخذ معي أحد الرقاة كي يعينني فيما أنا مقبل عليه، فما رأيك في هذا، أليس أمرا ذكيا؟
- الأب: بلى، لكن سبق لغيرك فعل ذلك، لكنه لم يفلح في طرد الجن من ذلك المكان.
- الطبيب: الراقي الذي سآخذه معي، راق محترف ومعروف بنجاحاته الكثيرة في التعامل مع الجن، واحتمال فشله هذه المرة، احتمال ضعيف.

- الأب: إن شاء الله يا بني، فماذا عنك أنت أيها المعلم؟

وقد قالها ببعض الاستهزاء، لأنه لاحظ صمت المعلم طوال الوقت، وطأطأته لرأسه، ما جعله يعتقد أنه لن يوافق على شرطه، وسيجبن عن مواجهة من في ذاك البيت المسكون، لكن المعلم قال له

- أنا يا عم، لا أريد أن أزكي نفسي، لكن وطوال حياتي وأنا بعيد عما يغضب الله، وكنت ولازلت أحاول ألا أظلم أحدا، أو أعصي الله، وبما أنك قلت بأنه لن ينجح في إحضار عقد اللؤلؤ غير صاحب الدين والخلق، فأنا موافق على شرطك، وسأخوض هذه المغامرة مستعينا بالله، وإن شاء الله أوفق فيما أصبو إليه.
- الأب: إن شاء الله، وموعدنا سيكون هنا يوم الجمعة بعد الصلاة، كي آخذكم إلى ذلك البيت، فهل أنتم موافقون؟

فوافق المعلم، والطيار، لكن الطبيب قال بأنه لم يقرر بعد ما سيفعله، وفي اليوم الموعود اجتمع ثلاثتهم في بيت الأب، بعد أن قرر الطبيب أيضا خوض المغامرة، وقد أحضر هو أيضا راق معه كي يعينه على طرد الأشباح من البيت المسكون، أما الدكتور، فقد قرر هو أيضا الذهاب معهم إلى ذلك البيت من باب الفضول، كي يرى ما سيحدث مع من سيدخل إليه، وعندما وصلوا إلى المكان المقصود، وجدوه عبارة عن عمارة قديمة، ومهملة، في مكان موحش، وقد تساقط بعض جدرانها، وعندما سأل أب جوهرة خطاب ابنته عن من يكون الداخل الأول إلى ذلك البيت من بينهم، قال الطيار بأنه من سيدخله أولا، وبدأ يقترب من باب البيت بعد أن طلب من الراقي تلاوة الرقية التي جهزها لذلك الموقف، وبعدما دخل بقي الجميع يترقب ما سيحدث، فإذا بصوت مرعب ينبعث من ذلك البيت، وكأنه صوت وحش مخيف، الأمر الذي أخاف الجميع، خاصة بعدما تلى ذلك صوت أشياء زجاجية تتكسر، مصحوبا بصراخ الطيار الذي ما لبث أن خرج جاريا، وهو يواصل الصراخ من الخوف، والدم يسيل من أنفه، وعندما وصل إلى حيث يقف الجميع توقف عن الجري، والتقط أنفاسه، ثم قال للدكتور الذي سأله عن ما رآه داخل البيت

- في البداية لم أر أو أسمع شيئا، لكن بعدها سمعت صوتا مرعبا، زعزع كياني، ثم تلى ذلك رؤيتي لصندوق مليء بالمجوهرات، وبمجرد أن أغلقته وحملته كي آخذه معي رغم عدم وجود عقد اللؤلؤ فيه، بدأت أواني زجاجية تتساقط علي، ثم ظهر أمامي وبشكل مفاجئ رجل مشوه، وضربني على أنفي ضربة قوية جعلت الدم يسيل منه، ولأن الأمر أخافني كثيرا فقد خرجت بسرعة تاركا الصندوق ورائي، خاصة أنى لم أر من هو أبشع من ذلك الرجل في حياتي.
- الأب: المهم أنك خرجت من ذلك المكان حيا رغم ما أصابك فيه.

ثم التفت إلى الطبيب والمعلم وقال لهما

- دور من منكما الآن؟

فقال الراقي الذي أحضره الطبيب

- لدي كلام أريد قوله للطبيب، فهلا سمحت لنا بالكلام لوحدنا لبعض الوقت؟
- الأب: افعلا ما تشاءان.

فابتعد الراقي والطبيب عن المجموعة قليلا، وتبادلا الهمس بينهما لبعض الوقت، ثم انفجر الطبيب ضاحكا وقال

- أنا من سيدخل إلى البيت الآن، ودون الاستعانة بالراقي حتى.

الأمر الذي فاجأ الجميع، وجعلهم ينظرون إليه وهو يدخل إلى البيت المسكون بابتسامة وثقة، وبمجرد دخوله إليه، بدأ الدخان يتصاعد من نوافذه، مصحوبا بالصوت المرعب الذي سبق وأن سمعوه، وتلى ذلك صوت ضحك الطبيب، الأمر الذي حير الجميع، وأثار استغرابهم، إلا الراقي الذي أحضره معه، والذي بمجرد أن سمع صوت ضحك الطبيب حتى ضحك هو أيضا دون أن يعلم الحاضرون سبب ذلك، ما جعل الدكتور يسأله عن سبب ذلك، لكنه لم يجبه، وعندما سأله لماذا لا يقوم بعمله ويتلو رقياه قال له

- لقد قمت بما علي، وانتهى الأمر.
- الدكتور: لكني لم أرك تقوم بشيء!
- الراقي: لكل طريقته في العمل.

فقال الراقي الذي أحضره الطيار

- صحيح أن هناك عدة طرق للرقية، لكني لم أرك تفعل أي واحدة منها، فلا رقيا بالقرآن ولا رقيا بالماء، ولا بأي شيء آخر

فأجابه أنه يفضل الاحتفاظ بالأمر بينه وبين نفسه، وبينما هم على ذلك الحال، إذ بالطبيب يخرج وهو يمشي بانحناء، وصعوبة، والدم يسيل من فمه وأنفه، ما جعل الراقي الذي أحضره يجري إليه، ويسأله عما جرى معه، فجثى الطبيب على ركبتيه، وأخذ نفسا عميقا، ثم قال

- الحمد لله الذي أنجاني مما هو أسوء، الحمد لله الذي أنجاني مما هو أسوء.
- الأب: وما الذي جرى معك وجعلك في هذه الحالة ها؟
- الطبيب: هذا الراقي الذي أحضرته يتعامل مع الجن، وقد أخبرني أنهم أخبروه أنه لا وجود للأشباح في ذلك البيت، وأنك يا عم من طلب من بعض الأشخاص تجهيز المكان كي يبدو مسكونا، وتتمكن من اختبارنا فيه لاختيار زوج لابنتك، وأنه علي عدم الخوف من كل ما سأراه، وكل ما سأسمعه، عندما أدخل إلى البيت، لأنه لا أحد يمكنه فيه إيذائي، وإن حاول أحدهم فعل ذلك فالجن الذي يتعامل معهم سيتدخلون، وسيحمونني، لكن ذلك لم يحدث، وبمجرد دخولي رأيت مجموعة من الحيات تنتقل بين الغرف، ما أضحكني لاعتقادي أنها غير سامة، وبأنها وضعت هناك فقط بغرض إخافتنا، لكن بعدها اصطدم رأسي بشيء لا أدري لا ماهيته، ولا من أين أتى، وقد أدى ذلك لإصابتي بالإغماء، وعندما أفقت وجدت نفسي على هذه الحال، مما جعلني أسرع في الخروج خوفا من أن يحدث معي ما هو أسوء، وما أنا متأكد منه الآن هو أن هذا البيت مسكون فعلا، وأن الجن الذين تتعامل معهم أيها الراقي قد خدعوك، خاصة أنهم لم يقدموا لي أية مساعدة.
- - الأب: كان عليك أن تعي هذا منذ البداية، ولا تثق فيمن لا تعرفه، أما الآن فقد حان دورك أيها المعلم، فأرنا ما أنت فاعل.
- المعلم: سأدخل إلى ذلك البيت، وإن شاء الله سأوفق في مهمتي، فإن لم أنجح فيها فسأعمل على إعادة دراسة أسلوب حياتي، لعلني أعرف أين أخطأت فأصحح أخطائي.

ثم اتجه إلى باب البيت ودخل، فإذا بالجميع يسمعون الصوت المرعب الذي اعتادوا سماعه، كلما دخل أحد إلى ذلك البيت، ومن حين لآخر يسمعون بعض الصرخات، لكن ليس المعلم من كان يطلقها، وبعد مرور بعض من الوقت خرج المعلم حاملا لعقد اللؤلؤ، ما جعل الجميع يهرع إليه لمعرفة كيفية حصوله عليه، والصعاب التي واجهها داخل ذلك البيت، فقال لهم المعلم والابتسامة تعلو محياه

- عندما دخلت، قابلتني امرأة جميلة، وهي حاملة لزجاجة خمر، وكأسين، وكأنها تدعوني لتناول الخمر معها، لكني استعذت بالله من الشيطان، ومنها فابتعدت عن طريقي، وعندما واصلت

مسيري، رأيت صندوقا مليئا بالنقود، ورغم رغبتي فيها إلا أني لم آخذها، واستعذت بالله أن آخذ ما لا يحل لي، وبعدها رأيت رجلا مربوطا إلى أحد أعمدة البيت وبجانبه حية كبيرة، وهو يطلب مني المساعدة، فاعتقدت أنه الرجل الذي اختفى بعد دخوله إلى ذلك البيت منذ سنوات، وقد أردت مساعدته لكني خفت من تلك الحية، ما جعل ذلك الرجل يقول لي: بجانبك زجاجة خمر، فاشرب القليل منها كي تحس بالشجاعة، وتتمكن من مساعدتي. لكني استعذت من الله أن أشرب منها، أو أتذوقها حتى، فاختفت الحية والرجل من أمامي بطريقة غريبة، وبعد مواصلتي التوغل داخل البيت، رأيت عقد اللؤلؤ معلقا في إطار على أحد الجدران، ولا يمكنني الوصول إليه إلا إن دست على سجادة مكتوب عليها بعض الآيات القرآنية، فاستحييت من الله أن أفعل ذلك، وقمت بطيها ووضعها جانبا، ثم اتجهت إلى الإطار وأخذت العقد منه، وخرجت دون أن أتعرض لأي أذى.

- الأب: أحسنت في كل ما فعلته يا بني، فخلقك ودينك هما سبب نجاحك، أما أنت أيها الطبيب، فما قاله لك الراقي الذي أحضرته معك أمر صحيح، لكنه وقبل أن يخبرك بما أخبرك به، جاء إليّ وطلب مني مبلغا من المال حتى يتكتم على الأمر ولا يخبر به أحدا، فوافقت على طلبه بشرط أن يخبرك بما أعلمه به الجن، دون أن يطلب منهم مساعدتك عندما تحتاج إليهم، وقد وافق على طلبي، لذلك حدث معك ما حدث.

وبمجرد سماع الطبيب لما قاله الأب، شرع في ضرب الراقي الذي أحضره، والجري وراءه بعدما أفلت منه، أما الأب فقد قال للطيار

- أما أنت يا بني، فقد فشلت لأنك أردت أخذ صندوق المجوهرات الذي لا يحل لك أخذه، على عكس المعلم الذي لم يأخذ صندوق النقود، رغم أن المبلغ الذي كان فيه مبلغ مغر جدا.

ثم نظر إلى البيت المسكون، وقال لمن أطل منه من الممثلين

- عرس ابنتي قريب، وكلكم مدعوون لحضوره.

لتنتهي بذلك قصة البيت المسكون، وعقد اللؤلؤ الذي أصبح ملكا لجوهرة.

أنا والزجاجة

عندما أحس سليم بالإحباط بسبب عدم نجاحه في مسابقة التوظيف التي شارك فيها، اشترى زجاجة خمر، وذهب إلى أحد الشواطئ الخالية، وبدأ في الشرب منها، ثم وضعها جانبا، وذهب ليتمشى لعل ذلك يخفف عنه قليلا، فإذا به يسمع صوت امرأة يناديه باسمه، فالتفت إلى جهة الصوت، لكنه لم ير أحدا، وعندما سمع الصوت يناديه مجددا دون أن يرى أحدا، قال في نفسه بأن ما يحدث له راجع للخمر التي لعبت بعقله، وجعلته يتخيل أمورا لا وجود لها، لذلك استمر في مشيه بإحباط غير مبال بالصوت الذي سمعه، فإذا بصوت المرأة يقول له

- لماذا أنت محبط يا سليم؟

فضحك سليم وقال

- أنا محبط بسبب عدم نجاحي في مسابقة التوظيف التي تقدمت لها، ورغم علمي المسبق بأني سأفشل بسبب طغيان المحسوبية على نتائج تلك المسابقات، إلا أني تعيس لأني ورغم كل شيء كان لدي أمل ولو بنسبة 1% أن أفوز، ولا يخيب أملي كما خاب في المرات السابقة، لكن الأمور لا زالت كما هي، ومن لا معارف له من أصحاب النفوذ لن يفوز، ولن يحظى بفرصة عمل كغيره من خلق الله.

- صوت المرأة: ولماذا ضحكت عندما سألتك عن سبب إحباطك؟
- سليم: ضحكت لأن شر البلية ما يضحك، ذلك أنه لم يكفني ما أنا فيه، حتى أتحدث مع وهم كالمجانين.
- صوت المرأة: ولماذا شربت الخمر يا سليم؟
- سليم: فعلت ذلك بسبب الإحباط الذي أحس به، لعل وضعي يتحسن قليلا.
- صوت المرأة: ألم تجد طريقة أخرى تحسن بها حالتك النفسية غير ما فعلته؟
- سليم: أمر اعتدت عليه، ولم أفكر في غيره.
- صوت المرأة: ألا تعلم أن شرب الخمر حرام؟
- أعلم، لكن أعلم أيضا أن الله غفور رحيم.
- صوت المرأة: فماذا إن لم يغفر لك الله؟

فسكت سليم ولم يجبها.

- صوت المرأة: لماذا لا تجيب يا سليم؟
- سليم: لا أدري ماذا أقول، فأنا لم يسبق لي أن فكرت في هذا الأمر.
- صوت المرأة: ألا تعلم أن أضرار الخمر أكثر من فوائدها؟

فالتزم سليم الصمت مجددا.

- صوت المرأة: ألا تعلم أنها تسبب العجز الجنسي، والسرطان، والشيخوخة المبكرة، ووو...؟

لكن سليما لم يجبها.

- صوت المرأة: أراك لا تتحدث، فلماذا يا سليم؟
- سليم: كل ما قلته أعلمه، لكني أتصرف بلا مبالاة.
- صوت المرأة: تتصرف بلا مبالاة مع أمر خطير كهذا؟

فلم يجبها سليم.

- صوت المرأة: ماذا لو كان آخر ما تقوم به في هذه الدنيا، وتختم به حياتك، هو رشفة خمر؟

لكن سليما بقي صامتا.

- صوت المرأة: ألا تفكر في الآخرة وأنت تشرب الخمر يا سليم؟ ألا تتخيل نفسك وأنت في جهنم بسببها؟

ورغم أسئلة المرأة العديدة، إلا أن سليما التزم الصمت، ولم ينطق ببنت شفة.

- صوت المرأة: لماذا لا تجيبني يا سليم؟
- سليم: كلمة لا هي الجواب على كل أسئلتك.
- صوت المرأة: وهل تلك الكلمة جواب حكيم؟ هل ستنجيك من العذاب إن أجبت بها إلهك يوم القيامة؟

ففكر سليم قليلا، ثم نظر حوله لكل مكان، وقال بعدها

- أيعقل أن من يتحدث معي بهذه الطريقة المنطقية، ليس سوى وهم!
- صوت المرأة: ليس وهما، بل شيئا زجاجيا لونه أخضر، وكنت تشرب منه منذ قليل.

فنظر سليم إلى زجاجة الخمر التي تركها خلفه، ثم مشى نحوها، وعندما وصل إليها، حملها وتأملها من كل الجهات، ثم قال لها

- أأنت من كان يتحدث معي حقا؟
- صوت المرأة: نعم، وإن كنت ذا عقل رشيد، فارمني إلى البحر، وتخلص مني إلى الأبد.

ففكر سليم قليلا وهو ينظر إلى الزجاجة، ثم نظر إلى البحر ورماها بعيدا عنه، وبقي يتأملها وهي تطفو فوق الماء، ثم غادر المكان وهو مبتسم، وغير آسف على ما فعله.

قصص قصيرة جدا

- أخذ نفسا عميقا من سيجارته، وعندما رأى طفلا صغيرا ينظر إليه أطفأها، ورماها كي لا يكون قدوة سيئة له.
- سقطت قطرة ماء على جبهتها فقالت: تبا لها، ستفسد ماكياجي.
- كلما نظر إلى عينيها ابتسم، فقالت له: لماذا تبتسم عندما تنظر إلى عيناي، أم لأنهما فائقتا الجمال؟ فقال لها زوجها: بل أبتسم لأنهما ولشدة صغرهما، تبدوان كعيني نملة.
- رآه يعمل لمدة طويلة دون توقف مهملا صلاته، وغداءه، فقال له: العمل المناسب في الوقت المناسب، لذلك نظم وقتك أفضل لك.
- سمع طرقا على الباب ولشدة نعاسه تجاهل الأمر ونام.
- وجد أن اسمه ليس في قائمة الناجحين في شهادة البكالوريا، فقال لنفسه: أستحق هذا، فلا أحد يحصد إلا ما يزرعه.
- قالت له: سئمت من فقرك، ومن حياة البؤس التي أعيشها معك، فقال لها: أنا لم أسأم بعد من قلة صبرك، ومن طول لسانك.
- قالت له: أنا مريضة بالسرطان، فقال لها: الحقي ببيت أهلك، فأنت طالق.
- مشى لبعض الوقت ثم تذكر أنه نسي تناول دواءه، فعاد إلى البيت لتناوله وهو يقول: جل من لا يسهو.
- نظرت في المرآة، وكي تواسي نفسها لقلة جمالها قالت: هناك من حسد أمي على حملها بي، لذلك أرى هذا الوجه في المرآة، وإلا لكنت ملكة جمال الكون.
- عندما بصق رأى دما في بصاقه، الأمر الذي أقلقه، وجعله يقول: عليّ الذهاب إلى الطبيب، للتأكد من أني غير مصاب بمرض خطير.
- رأى طفلة صغيرة تبكي، وعندما سألها عن سبب بكائها، قالت له بأن أخاها يوجد في بطن أمها، وهي تخشى عليه من الاختناق.
- كانت تمشي بحزن، وعندما التقت بصديقتها، وسألتها عن سبب حزنها قالت لها بأن بطل مسلسلها المفضل قد مات في نهايته، لذلك هي حزينة عليه.
- مجنون اشترى سمكة، وعندما وصل إلى البيت، وأخرجها من الكيس قال: سأزرعها كي أحصل منها على المزيد من السمكات.
- مرة أخرى اشترى سمكة وقال: سأربيها إلى أن تكبر وتصبح قادرة على إدرار الحليب، فأبيعه وأصبح ثريا.

- طفلة صغيرة لا يتعدى سنها الست سنوات، جلست وحيدة تبكي، وعندما سألها أحدهم عن سبب ذلك قالت له بأن بطنها بارزة، ما يعني أنها حامل. وعندما كبرت وفهمت كيف يحدث الحمل، أصبحت تضحك على نفسها، وعلى سذاجتها وهي صغيرة.